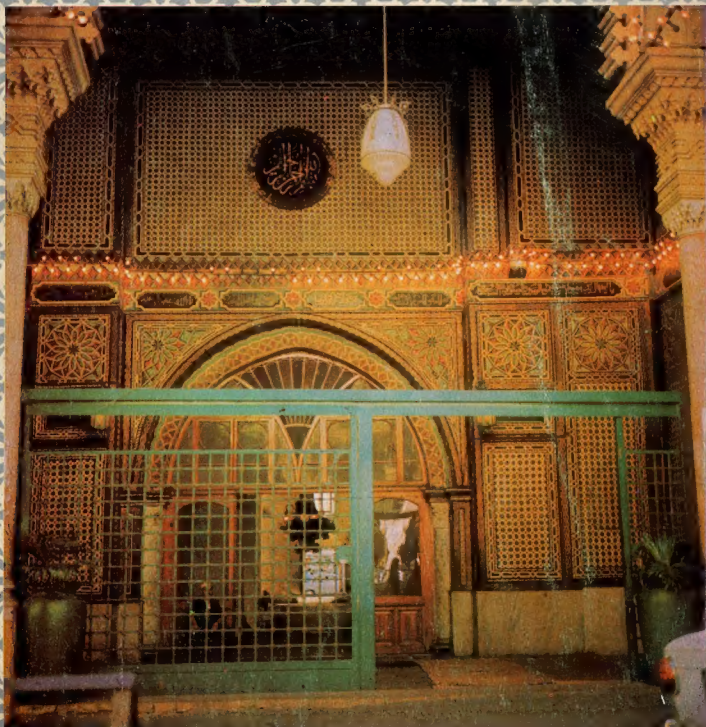


الوعي الإسلامي

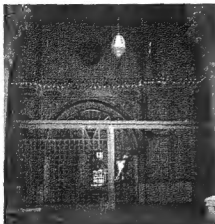
إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة - العدد ١٠٠ - غرة ربيع الآخر ١٤٩٢ هـ - ٢ مايو ١٩٧٢ م



وَأَمَّا الْغُرُوفُ وَأَنَّهُ عَنِ النَّكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ
الَّتِي كُنْتَ تَكْفُرُ
بِالْحَقِّ الْبَاطِلِ
الَّذِي كُنْتَ تَكْفُرُ
بِهِ



مسجد العمري
بيروت

منظر رائع لواجهة المسجد العمري
بيروت وهو آية من آيات الفن
والإبداع العربي في الزخرفة
والجمال

التمن :

٥٠ فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	المراة
٥٠ فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
دريم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعمان
٥٠ قرشا	لبنان وسوريا
٤٠ مليما	مصر والسودان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

المسدد (١٠٠)

غرة ربيع الآخر ١٣٩٣ هـ

٣ مايو (أيار) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بالمكويت في غرة كل شهر عربي
الاشتراك الممنوي للهيئات فقط
أما الأفراد فيشتركون راسا
مع متعدد التوزيع كل في قطر

عنوان المراسلات :

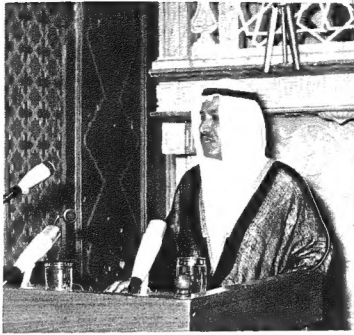
مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
صندوق بريد : ١٣ - كويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٤٢٢٠٨٨

ذكرى المولد النبوى الشريف

كلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بذكرى مولد أفضل مواليد ، وأعظم مخلوق
وموجود ، سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وقد وفدت ذكرى
المولد النبوى الشريف هذا العام على المسلمين وقد نزلت بساحتهم أحداث هى أكبر من أن
نوصف ، وأقربها نزولا ما حدث فجر الثلاثاء الذى يسبق ذكرى المولد من اقتحام المدو
الاسرائيلى لبيروت قادة المقاومة الفلسطينية فى بيروت ، العاصمة العربية اللبنانية ، وقتلهم
وانتهاك حرمتهم ، ثم عودته سالما محروسا بفلنتنا ، محميا بمجزنا .. وكان
لهذا التحدى الصارخ من الصهيونية صدها اليميد فى المحيط العربى ، والمجتمع الإسلامى
والمجال الدولى ، وقد انعكست آثار هذا التحدى فى الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة المولد
الشريف فنتابع الخطباء يمثون القوى ، ويوقدون جذوة الإيمان فى القلوب ، ويستنهضون
المزائم للذود عن العقيدة والأوطان .

وفى حفل الوزارة الذى أقيم بمسجد السوق الكبير ونقلت وقامه الاذاعة والتلفزيون
أرتجل سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرمان وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الكلمة التالية :



يحتفل العالم الإسلامي اليوم بذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

يحتفل العالم اليوم بذكرى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذي قاد الأمة الإسلامية ، وقاد الأمة العربية من نصر الى نصر . نحتفل بالمعلم الأول . ونحتفل بالقائد الأول الذي علمنا كيف يكون الجهاد ، وعلمنا كيف يكون النضال ، وعلمنا كيف يكون الاستشهاد في سبيل الله ، لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في هذه الأمة روح العزة والكرامة ، وعلمها كيف تكون أمة وكيف تكون معنية للشعوب والأمم ، ونحن نحتفل اليوم بهذه الذكرى لنأخذينها عظة وعبرة ..

أيها السادة :

ونحن نحتفل بهذه الذكرى تطلع علينا الأحداث المؤسفة ، ويستيقظ العالم اليوم على أحداث مؤلمة في عالمنا العربي والإسلامي ، فقد استيقظ العالم على جريمة نكراء ارتكبتها الاستعمار ، واركتبتها الصهيونية — استيقظ العالم على اعتداء آثم على الشعب الفلسطيني المظلوم ، الذي شرد من دياره ومن وطنه ، استيقظ العالم على المؤامرة الكبرى التي دبرت ضد هذا الشعب ، والتي استهدفت القادة والزعماء للمقاومة وللفدائيين ، استيقظ العالم على هذا الذي يتكرر في صورة الحمل الوديع ويرتكب أكبر جريمة .. استيقظ العالم على هذا الشعب اليهودي ، الشعب الصهيوني ، الذي يخدع العالم فيناشده السلام والأمن

والاطمئنان .. استيقظ العالم على هذا الشعب فوجده يرتكب جرائم في المدن الآمنة ، يقتل الأطفال والنساء والرجال ، لا يرحم النساء ، ولا يعطف على الأطفال ، إنه حيوان مفترس .

أيها السادة :

إن هذه الجريمة لا تستهدف زعماء المقاومة ، ولا تستهدف الفلسطينيين وحدهم ، وإنما تستهدف الأمة العربية والإسلامية ، لأنها مؤامرة لها أبعادها المعنوية قبل أبعادها العسكرية .. إنها مؤامرة تريد أن تفت في عهد هذه الدعوة ، وفي هذه القوة ، وفي هذه العزيمة .. إنها الحرب النفسية التي ترتكز عليها الصهيونية ضد هذه الأمة العربية ، وتريد أن تشتت شملها ، وأن تضعف قواها ، وأن تفرق كلمتها وشملها .. تريد أن تهزها ، وتريد أن تفرض عليها الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع .. إن الحرب النفسية اتسعت على الشعوب من الحرب العسكرية ..

أيها الإخوة :

على المؤمنين وعلى الثابتين أن يثبتوا في مواقعهم ، وأن يتنبهوا إلى هذه المؤامرات ، وأن يعرفوا أن عدوهم يتخذ من الأساليب ، ويتخذ من الخطط ما هو أدهى وأمر من ذلك ، لأنه يريد أن يحو كل عربي ، وما هو يقوم بمعاونة الكفر والاستعمار بقتل أبنائنا وتشريد عائلاتنا .. وما هو ينفث سمومه في كل يوم ، ويعتقل من أبنائنا كل يوم ، فعلياً أن ننتبه ، وعلياً أن نثبت في مواقعنا ، وأن نجابه هذه الحرب بكل عزيمة ، وكل ثبات ، وكل قوة ، ولنا في تاريخنا العربي والإسلامي المجيد ما يقوى من عزميتنا وما يثبت من أقدامنا .. إن لنا في رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وفي سيرته وفي جهاده وفي نضاله أسوة حسنة ، فقد عانى من الكفار ما عانى ، ولقد قاد معاركه وخاضها وناله من الأذى ما نال ، وقد أرسل جيشه إلى الشام ليقاوم الروم ، وعندما وصل الجيش إلى « ممان » علم أن جيش الروم يبلغ مائة ألف ، وعدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف رجل ، فردد بعض القوم ولكن الإيمان ثبت ، ولكن العزيمة وقفت ، وقالوا : ما جئنا إليه هو الذي نكرهه ، وإن لنا في هذا الموقف إحدى الحسنيين فإنها النصر وإنها الشهادة ، فتقابل الجيشان في مكان يقال له مؤته ، في أرض الشام ، وتقدم القادة الذين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتأخروا إلى المؤخرة وإنما تقدموا الصفوف ، فتقدم زيد بن حارثة وهو يحمل راية المسلمين فجاهد وناضل حتى قتل ، فتقدم جعفر بن أبي طالب فجاهد وقاتل حتى قطعت يده اليمنى ، فحمل الراية بيده اليسرى ، وناضل حتى قطعت يده اليسرى ، فآخذ الراية بعضديه

نقاتل وناضل حتى نقتل ، ولما حبلوه وجدوا في جسده أكثر من تسعين طعنة ،
 فجاه بعده عبد الله بن رواحة فاستلم الراية وقاتل وناضل حتى قتل ، ثم جاء بعد
 ذلك خالد بن الوليد ونظم الجيش ورتب الصفوف وظن الأعداء أن هناك مددا جاء
 إلى هذا الجيش ، فتقابل الجيشان فانحاز الكفار إلى مكان وانحاز المسلمون
 إلى مكان آخر فكان النصر للمسلمين ، « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن
 الله » مرجع جيش المسلمين وقد بعث الله في قلوبهم الإيمان ، وقوى عزيمتهم
 بالثبوت على الإسلام ، ثم بعد ذلك تناهت جيوش المسلمين بتأييد من العقيدة
 الإسلامية ويتحججه من القائد العظيم الذي يخوض المعركة متقدما الصفوف .

أيها المسلمة :

إننا نريد أن نقول لقادتنا ، ونريد أن نقول للمقاومة ، ونريد أن نقول للمدائنين
 لقد آن الأوان أن تتوحد صفوفكم ، وأن تقاتلوا صفوا واحدا كرجل واحد « **إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنًا مَرْصُومًا** » .

وعلى الأمة العربية أن تقاتل معهم ، وأن تؤيدهم بالرجال ، فإن ذلك من
 واجبنا ، وذلك فرض علينا ، فإن الإسلام قد أوجب علينا الدفاع عن الأوطان ،
 ومن لم يحفثه نفسه بالجهاد والقتال في سبيل الله مات على شعبة من النفاق ،
 وعلى كل مسلم أن يجاهد ، وأن يفاضل ، وأن يقاتل في سبيل الله وفي سبيل
 الوطن .

إن ديارنا احتلت ، وصورنا تمزقت بيد أعدائنا ، فوجب علينا الفضل ،
 ووجب علينا القتال ، ووجب علينا المناصرة والموازة بكل ما نستطيع من قوة :
 « **وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** » .

على القادة وعلى الزعماء أن يعرفوا هذه الحقيقة فإن النصر لا يأتي إلا
 بالوحدة ، وحدة الكلمة ، ووحدة الفكر ، ولا يأتي إلا بالنظام ، ولا يأتي إلا
 بالتنظيم ، فإن عدونا يقاتلنا بهذه الفكرة ، ويقاتلنا بهذه الدعوة ، ويقاتلنا بهذا
 التنظيم . لقد انمقتت مؤتمرات الصهيونية لهذا الغرض في كل مكان ، وها نحن
 نرى جيوشنا تقف بعيدة من النصر للمدائنين ، فعليها أن تتف وتقاتل وتجاهد ، وأن
 تنصر هؤلاء الذين يضحون بأرواحهم ويديناهم في سبيل الله . « **إِنَّ نَاصِرَوا
 اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** » والسلام عليكم ورحمة الله .



المُصْحَفُ...

وجاء في بعض الروايات ما يدل على أن لفظ « المصحف » تداوله المسلمون بنفس المعنى قبل عهد أبي بكر فمن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الغريب في الدنيا أربعة (وعد منها مصحفاً في بيت لا يقرأ فيه) انظر المناوي في القدير شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٤٠٩ .

وعن ابن عمر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالمصحف في أرض العدو مخافة أن يناله العدو » المصاحف لابن أبي داود ج ٥ ص ١٨٠ .

وعن أنس — مرفوعاً « سبيع يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو

المصحف اسم لا يفيد مدلوله ، ولا المراد به عن أحد من الناس شرق أو غرب . كقر أو آمن ، فهو — كما علمت الدنيا — في ماضيها وحاضرها وكما تعلم الأجيال القادمة إلى يوم الدين — اسم المصحف التي كتب فيها القرآن الكريم مرتب الآيات والسور على الوجه الذي تلقته الأمة الإسلامية من النبي صلى الله عليه وسلم . وأبو بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن وسماه المصحف ، وقد روى أن الصحابة رضوان الله عليهم لما جمعوا القرآن في عهده ، وكتبوه في أوراق قال : التمسوا له اسماً ، فقال بعضهم « المصحف » فاختره المسلمون وارتضاه الخليفة الأول .

فى قبره (وعد منى أيضا من ورث مصحفا) « انظر الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١٧٢ .

ولم تعرف الدنيا كتابا يذل اتباعه فى حفظه وتهبها والعناية به حرفا حرفا وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره واحزابه وانصافه وارباعه وسجدياته - كما فعل المسلمون بالمصحف ، فقد تجردت لخدمته عقول ومواهب وبذلت فى دراسته اعمار واموال لم يظفر بها على مدى التاريخ اى كتاب سماوى او غير سماوى ، وشيبت ورويت على مائدته عبريات كثيرة متنوعة افادت الانسانية خير نجاج فى فنون المعرفة واللوان الثقافية العقلية والانسانية .

ولم يبلغ ككتاب من الذبوع والانتشار ما بلغ المصحف ، فقد كتب وطبع منه ملايين النسخ فى مختلف الصور والاحبال ، وحملت هذه المصاحف حيث يوجد الظل من الارض .

جاء فى كتاب المسالك والممالك ص ١٦٢ عند الحديث عن سد يا جوج وما جوج ان الخليفة الواثق بالله اراد ان يستخير خير هذا السد ، فاوفد « سلام الترجمان » لهذه المهمة ومعه خمسون رجلا : شباب اقوياء ، وحكى سلام ، فقال : « فاقمنا عند ملكك الخزر يوما وليلة ، حتى وجه معنا خمسة اولاد ، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوما ، فانتهيينا الى ارض سوداء ممتدة الرائحة ، وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلا نشممه من الرائحة المنكرة ، فسرنا فيها عشرة ايام ، ثم صرنا الى مدن خراب فسرنا فيها عشرين يوما ، فسالنا عن حال تلك المدن ، فخبرونا انها المدن التى كان

يا جوج وما جوج ينظرونها ، فخبروها ثم صرنا الى حصون بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السد ، وفى تلك الحصون قوم يتكلمون العربية ، مسلمون يقرأون القرآن ، ولهم كتابات ومساجد ... الخ » .

وايا كان سند هذه القصة من الصحة ومبلغها من الحقيقة او الخيال ، فهى تشير الى حقيقة لا جدال فيها .. الى مدى اهتمام المسلمين اينما كانوا بالقرآن وحرصهم الشديد على اقراء اولادهم المصحف وتحفيظه لهم . يستوى فى ذلك الخلفاء والامراء واساط الناس وعامتهم . والكتاتيب المنبثة فى الدائن والقرى على تتبع الاجيال ومسار الزمن آية هذا الاهتمام وتلك العناية ، ووصايا الحكام للمعلمين والمؤدبين اصدق دليل واعظم شاهد . يقول عبد الملك بن مروان لؤدب ولده : علمهم الصديق كما تعلمهم القرآن . وهشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبى لما اتخذه مؤدبا لابنه « اول ما اوصيك به ان تاخذه بكتاب الله ، ثم روه من الشئعر احسنه » والرشد يقول للاحمر معلم ولده الامين « فكن له بحيث وضعت امير المؤمنين . اقراه القرآن وعرفه الاخبار » .

وفى كل جبل وكل بلد يبسر الله للقرآن الكريم طائفة من المسلمين يبذلون جهودا لتعليمه وتحفيظه وسط التيسارات المثبطة والمعوقة او المضادة ، ونذكر على سبيل المثال دار القرآن الكريم التى انشأتها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى دولة الكويت ، واستوعبت عددا كبيرا من الراغبين فى الحفظ صباحا او مساء ، وانك لتعجب اشد العجب حين ترى

بردى أنه كان في قصر زبيدة بثت
جعفر زوجة هارون الرشيد « مائة
جارية تقرا القرآن فكان يسمع من
قصرها دوى كثرى النحل من
القراءة » .

وذكر ابن فياض في تاريخه في
أخبار قرطبة : « أنه كان بالربض
الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة
كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي .
وكان هذا في ناحية من نواحيها فكيف
بجميع جهاتها » .

وعرض ابن الجزري السيرة
العلمية لابنته سلمى ، وذكر أنها
« عرضت القرآن حفظاً بالقراءات
المعشر قراءة صحيحة بخودة مشتملة
على جميع وجوه القراءات بحيث
وصلت في الاستحضار إلى غاية لا
يشاركها فيها أحد في وقتها » .

هذه بعض الأضواء على المصحف
تدل على مبلغ عناية المسلمين رجالاً
ونساء في مختلف المصور والإجبال
بخدمة كتاب الله والاهتمام بحفظه
والمحافظة عليه وهي عناية لم يظفر
بها أي كتاب في الوجود ، ويكفي أنه
منذ تنزلت الآيات الأولى منه إلى اليوم
لم تخل لحظة من ليل أو نهار من
أمواه تتعطر بترتيله والسنة تترطب
بتلاوته وقلوب تخشع وتلين لسماعه ،
وستظل بحفظ الله هذه الأمواه
والالسنه والقلوب تطيب وتشدى
وتخشع إلى يوم الدين « انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

معركة المصحف :

وبقدر تقديس المسلمين للمصحف
وحرصهم على سلامته وجهودهم
للمحافظة عليه كانت أحداث أعداء
الإسلام للمصحف وخسومتهم له
ومحاولاتهم الخاسرة لتزييفه
وتحريفه .

فيها الثصاب والشيخ والكهل ،
والهندي والعماني والبكستاني
والاندونيسي والروسي و .. والمبصر
والمكثوف والامام والمؤذن والعامل
والمحاسب والقاضي والجندي ..
أعمار متفاوتة ، ومستويات مختلفة ،
وجنسيات متعددة لم يجمعها في دار
واحدة وتحت سقف واحد الا هدف
واحد وهو التقرب إلى الله والتعبد
بتلاوة آياته وحفظ كتابه .

وهذا التيسير والتوفيق من رحمة
الله بعباده ولطفه بهم ولو كان
الجاهلون لا يعلمون ، وفي حديث
خليفة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « ان القوم يبعث الله عليهم
العذاب حتماً مقضياً ، فيقرأ صبي من
صبياهم في الكتاب » الحمد لله رب
العالمين « فيسمعه الله تعالى فيرفع
عنهم بذلك العذاب أربعين سنة » .
يقول ابن حجر العسقلاني في كتابه
الكناني الشافعي ولهذا الحديث شاهد
في مسند الدارمي عن ثابت بن عجلان
قال : كان يقال : « وان الله ليريد
العذاب بأهل الأرض فإذا سمع تعليم
الصبيا بالحكمة صرف ذلك عنهم ،
يعنى بالحكمة القرآن » .

ولم يكن اقبال النساء على حفظ
كتاب الله أقل من اقبال الرجال ، فقد
حفظ لنا التاريخ أسماء نساء في
خدمة المصحف وتلاوته . منهن أم
المؤمنين حفصة ، وتعتبر واحدة من
القراء من أصحاب النبي ، وقد حفظت
نسخة الجمع الأول التي كانت مرجع
لجنة جمع القرآن على عهد عثمان بن
عفان رضي الله عنه . ومنهن ميمونة
بنت أبي جعفر المدني أحد القراء
العشرة فقد روت القراءة عن أبيها ،
وروي القراءة عنها آخرون .
وفي النجوم الزاهرة لابن تفسر

وبيوء اليهود من قديم الزمان باثم تحريف الكتاب عن مواضعه ، وتبديل ما أنزل الله ، وقد مسخوا التوراة المنزلة على نبيهم مسخا يتفق مع أهوائهم وآرائهم فعمدوا الى الفاظها فزادوا فيها ونقصوا او حذفوا وقدموا وأخروا » ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

وقد حاولوا ان يغلطوا ذلك بالمصحف فخابوا وخسروا ، وآخر هذه المحاولات المصاحف المحرفة التي طبعوها ووزعوها في المغرب وغانا وغينيا ومالي وبعض دول افريقية أخرى ، وقد اكتشفت هذه المحاولة في المغرب فجهمت النسخ المحرفة وأحصيت الأخطاء الموجودة فيها ، فوجد فيها أكثر من ألف خطأ مطبعي ولفظي في مائة ألف مصحف ، ولم يقتصر التزييف عند الأخطاء المطبعية ، بل حذف فيها كلمة (ليست) في قوله تعالى : « وقالت اليهود ليست النصراني النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء » وحذفت كلمة (غير) في الآية « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وإبدال كلمة (آمنوا) بكلمة (لعنوا) في قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) وقد اهتم المسلمون بهذا الحادث الاجرامى الخطير اهتميا كبيرا ، فشكلت لجنة في القاهرة لمراجعة المصحف المحرف وتحذير المسلمين من تداوله ، وكذلك عملت السودان والاردن ، وحرصت الكويت وغيرها من الدول العربية والإسلامية على منع تداول أى مصحف فيها الا بعد اجازة تداوله من اللجان المختصة .

ولنلاحظ في الايام الأخيرة ظهور

طبعات كثيرة من المصحف يبدو فيها الإهمال الشديد من العمال وأصحاب المطابع ، والاستغلال الحرام من بعض أصحاب المكتبات ودور النشر وهذا الإهمال وان كان غير متعمد الا انه يساوى المتعمد في الإثم والنتيجة واحدة وهي وجود مصحف محرف ومزيف ، وتتخذ هذه الأخطاء صورا متعددة كحذف او زيادة بعض النقاط ، وحذف او تغيير بعض الشكلى ، ومخالفة للرسم العثماني المجمع عليه ، وكحذف بعض السور وكوضع سورة او بعض سورة في غير موضعها الا الهى .

وهذه المصاحف المحرفة لم تصبح نادرة بل كثرت وانتشرت انتشارا مخيفا .

فماذا ينتظر المسلمون والمسئولون بعد هذا ؟!

ماذا بعد المصحف ، وماذا قبل المصحف ، وماذا غير المصحف ، في وجود المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل ؟!

ان ظهور ورقة مزيفة من أوراق النقد في سوق من الأسواق تقسم الدنيا وتقعدها ، فتصادر تلك الورقة وتتخذ الحيلة لجمع مثيلاتها وأعدامها منعا لتداولها ، كما يتمقب المزيفون ، وتنزل بهم أشد العقوبات .

أفلا يجب أن ينال المصحف من المسلمين مثل هذه العناية .. أفلا يجب أن يعتبر تحريف المصحف عبدا أو أهلا جنائيا من الجنائيات توضع لها عقوبات رادعة : « ومن اظلم لمن افترى على الله كذبا » « ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

رضوان البيلي

صورة شاملة للسورة تيسر

للشيخ محمد الغزالي

من التفسير الموضوعي :

لن نحتاج الى كبير عناء في استبانة الخيوط الخفية التي تشد أجزاء هذه السورة وتجعل من معانيها وأغراضها كيانا متماسك الحقائق وضيء السامع .. بدأت السورة بقسم جليل .. قسم بما في الدليل من دقة وحكمة على صدق الدعوى ووجهة صاحبها !! « والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم » .
أن القرآن هو الشاهد الثقة على أن محمدا حق . وما تضمنه القرآن من حكمة بالغة : حجة فوق الريب على أنه وحى من السماء ، وأن الذي يتلوهُ مصدق الدعوة راشد الطريق .
ثم تضمنت السورة تمهيدا وجيزا عن مواقف الناس من هذه الرسالة

وانقسامهم بين مؤيد ومعارض وليس ذلك عجا .
فالناس من قديم الزمان صنفان : صنف يحتبس في الموارث الفكرية
التي آلت اليه لا يعدوها ولا يحب أن يستخرجه أحد من نطاقها ، وصنف
آخر من التفكير ، حر الوجهة يعطى نفسه حق المقارنة والتجريح ثم ينطلق
بعندئذ على ما أحب .

ومن الصنفين جميعا كان الكافرون والمؤمنون .
وعقب هذا التمهيد ثلاثة مشاهد متميزة استغرقت السورة كلها
ودارت على محور واحد : هو إضاءة الطريق أمام السائرين ، وسط الأدلة
التي تدعم الحق ، وتذيب التعمص للباطل وتبني الإسلام على أصوله العتيدة
من حركة العقل ، ووعي التجارب ، واحترام الفطرة ..

● **المشهد الأول :** دليل تاريخي من الماضي البعيد يقص نبا القرية
التي قاومت المرسلين وكذبت تعاليمهم فاصابها ما اصابها .

● **والشاهد الثاني :** دليل من الحاضر المحسوس يلفت النظر إلى
آيات الله في البر والبحر والفضاء ويرجع البصر بين فجاج الأرض وآفاق
السماء كي يستخلص العبر الدالة على رب العالمين .

● **والشاهد الثالث والأخير :** دليل من المستقبل الآتي يؤكد للبشر أن
لعالمهم الذي يعيشون فيه أجلا ينتهي اليه وإن وراءه عالما آخر يسعد فيه
المهذبون العقلاء ويشقى فيه من سفه نفسه ، وحقر عقله ، واساء
سيرته ، وفقد شرفه ..

من التمهيد الذي افتتحت به هذه السورة الكريمة ومن تلك البراهين
الثلاثة المستمدة من الماضي والحاضر والمستقبل تكونت (يس) .
ونستطيع أن نلمح الروابط بين أول السورة وآخرها إذا ما أعدنا
قراءتها متدبرين حال العرب الذين فوجئوا ببعثة محمد يدعوهم إلى توحيد
الله وحمل الرسالة التي اصطفاهم الله لها ومتدبرين كذلك الأدلة المثيرة
المتلاحقة كلها على أن الله حق ، ونبيه حق ، وهي أدلة كانت ولا تزال تهدي
الحيارى في كل زمان ومكان ..

فلنعد مرة أخرى إلى التمهيد وما بعده ..
إن ناسا كثيرين يحيون داخل فكرة ثابتة سيطرت عليهم دون بحث أو
نقاش ..

والسجناء في أوهامهم ينظرون يمينا ويسارا فلا يرون إلا السود
التي احتبسوا فيها والأحوال التي عاشوا في ضيقها وجعلوا ما وراءها
« إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الانقائهم مهم متحون . وجعلنا من
بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .
والأغلال التي تحيط بالرجل العتيد وتجعله يعجز عن لى عنته هنا
وهناك في حركة حرة يصير بها شتى المناظر والأوضاع ..
... هذه الأغلال من صنع نفسه ابتداء وما ضاعفها الله عليه إلا لأنه

هو يريد استبقاها كما قال جل شأنه في سورة أخرى .
« قل : من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا .. »
ويستطيع أي امرئ أن يخرج من ذلك السجن الظلوم إذا رجم نفسه
وخشى ربه وعرف الحكمة من محياه ومماته ... إنه عندئذ يؤمن بالله
ويهدى بوجهه ، وذلك ما بدأت الأدلة تتساق لتحقيقه .
فلتقف قليلا عند المشهد الأول منها وهو الذي يبدأ بقوله تعالى :

« وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون » .
لقد كذب أهل القرية رسالات السماء تقريبا كما فعل أهل مكة وقالوا
لرسلهم : « ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء .. »
وماذا يملك الأنبياء للناس ؟ إنهم لا يحملون عصا يسوقون بها الجماهير
ولكنهم يملكون قدرة على الإقناع وتجليه الحقائق لذلك قالوا : « وما علينا
إلا البلاغ المبين » .

بيد أن العميان يكرهون الضوء وما كان عليهم من بأس لو تركوا
رسل الله يتكلمون بما لديهم فمن ارتضى منطقهم دخل فيه وإلا أنصرف عنه .
إن أهل القرية لم يفعلوا ذلك بل قالوا لهم : « لنن لم تنتهوا لنرجعكم
وليمسكنكم منا عذاب اليم » .

واقبل من بعيد رجل منصف لم يذكر القرآن اسمه ليكون أسوة للرجال
الذين إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا .. الرجال الذين يعملون
بعيدا عن الشهرة والظهور .

وتحدث الرجل حديث العقل : « وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه
ترجعون » ما دام الله هو الذي خلق وما دام المرجع إليه فما معنى البعد
عنه والتجهم لهداه ؟؟ ولأن أذهب ؟ : « اتخذ من دونه آلهة إن يردن
الرحمن بضرا لا تفن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون » . إنى إذا لفى ضلال
مبين » ..

وذهب الرجل ضحية الإيمان الذي أعلنه وشرح أسبابه .. ويبدو أنه
كان عميق الاخلاص لقومه شديد الرغبة فى هدايتهم فلما استقبلته بشاشة
النعمة والرضوان تنفى لو أن قومه يعلمون ذلك المصير .. « قيل : ادخل
الجنة قال : يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » .
فماذا كانت عاقبة مكذبنى الرسل ، ومهددى الحريات ، وخرسى
صوت العقل ؟ هل احتاج الأمر إلى تجريد جيش من السماء لتأديبهم ؟ كلا ،
يقول الله : « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا
منزلين . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » .

كان جديرا بأبناء آدم أن يعوا هذا المصير وأن يرويه الأسلاف للأخلاف
غير أن عبر الماضى تمر دون أن يذكرها الكثيرون ولو استفاد الحاضر من
العابر لتجنب الناس ويلات شتى .

ومع روعة المثلثات الأولى فإن الإمادة منها قلت إلى حد أن القرآن
الكريم يرسل هذه الصيحة المنددة المغندة « يا حسرة على العباد ما يأتيهم
من رسول إلا كانوا به يستهزئون » ..

نلقطو هذا الشاهد ولتلق نظرة على مشهد ثان فى هذه السورة
يعرف الناس يربهم ويقفهم أمام آياته التى يرونها فى الصباح والمساء .

يبدأ هذا المشهد بوصف ما تنبت الأرض . خذ حفنة من هذا التراب
الذى لا نهاية له فى الحقول والحدائق . اترى فيه سكرًا أو دهنا أو نشا
أو أملاحا أو ألوانا أو غير ذلك كله مما تحسه وتطعمه فى الحبوب
والفواكه التى تأكلها .. كيف خرجت من هذا الطين البارد الجامد شتى
الألوان التى تصبغ الثمر والزهر بالصفرة والشفرة ، وكيف خرجت الطعوم
الحلوة من هذا الكدر والقذى ؟؟ ومن لف هذه الحبوب فى أغلفتها المحكية
ولف هذه الفواكه فى قشورها الزاهية ؟؟ : « وآية لهم الأرض الميتة
أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب

وفجرنا فيها من الميون . لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أملا يشكرونا .
ودليل ثان مما يعتقد اليه سبع الناس ويصرهم من ترانف الليل
والنهار عليهم .. ان اتحصارنا في حركتنا المحدودة يشغلنا عن حركة
الفلك الدائر وذلك أننا نصبح ونمسي ونودع شتاء ونستقبل صيفا دون
أن ندرى كيف تداولنا الليل والنهار والحر والبرد .

إن ذلك كله نتيجة جريان هائل للكوكب الذي نسكنه والكواكب التي
تشرف علينا وهو جريان مرهوب السرعة في هذا الفضاء الرحب .

ومع أننا نسكن كونا دوارا لا ينسى في ملكوت شامس الإبعاد
فإن هذا الدوران وذلك السبح محكومان بنظام محيط ملجمان بزماء ضابط
« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك
يسبحون » ودليل ثالث من هذه السفن التي تجري في الماء يقدر أن الأجسام
ترسب وتطفو وفق قانون مدروس مطرد ومن ثم يمكن صنع سفن في
أحجام الجبال تحمل الآلاف من الأنفس والغناطير المقنطرة من المتاع ثم
تنطلق متهادية فوق اللجج لو شاء ربها أبقاها فوصلت الى مرافئها سالمة
أو شاء نفخ في الأمواج الحاملة فارغت وأزبدت ورمت في قاع البحر بما
حملت فما يستطيع أحد إسداء عون ، ولا انجاء هالك .

« وإن نشأ نفرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينتقون . الا رحمة منا
ومتاعا الى حين » ودليل رابع من هذه الانعام المسخرة لنا ننتفع من مجيهاها
ومماتها ..

لكن قبل أن نشرح هذا الدليل وغيره ينبغي أن نذكر أن وسط الصورة
قد قام على معنى محدد معقول أما المشهد الخاتم للسورة فهو حديث عن
البعث والجزاء يبدأ من قوله تعالى : « ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين . ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » . ويستمر
هذا الحديث الى نهاية (يس) وربما تخلله من المشهد الثاني ما يلفت
العقل الى آيات الله الجديرة بالنظر كقوله جل شأنه « أو لم يروا أننا خلقنا
لهم مما عملت أيدينا انعاما فهم لها مالكون . ولللناها لهم فمئها ركوبهم
ومنها يأكلون » ..

الا أن ذلك الامتداد العقلي لا يقص من انفراد آخر السورة بكلام مثير
عن نهاية العالم وبداية عصر الثواب والعقاب . فلننعم النظر في المشهد انه
ينبئنا بأن أمر الله يأتي مباغتاً والناس مستغرقون في أعمالهم اليومية لا
يتوقعون حدثاً ما ..

قد يخرج الموظف الى عمله فلا يبلغ الديوان الا وقد وقعت الواقعة .
أجل وربما قامت الساعة والخادم ذاهب لشراء بعض السلع فلا يعود
بها وتصوير القرآن لقيام الساعة يوضح أنه يتم والناس مسترسلون في
الحديث حول شئونهم يتجادلون في تقرير وجهات نظرهم وبينما هم كذلك
ينفخ في الصور « فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون » .

حتى الهاجمون في مقابرهم من آماد بعيدة .. إن قومتهم ليسوم
الحساب تجنيهم مناجاة حتى ليصبحون دهشين : « من بعثنا من مرقدنا »
.. ويجيب كل شيء « ... هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

ولا تنهى في وصف النعيم وترغيب المؤمنين فيه ولا في وصف
العذاب وترهيب المنحرفون منه وأنها تتوقف لتتأمل في بعض أدلة البعث
التي ختمت بها الصورة .

ألم تسأل نفسك يوما : ماذا كنت قبل مائة عام قبل أن يوجد هذا
البدن المكتنز بالشحم واللحم ويتوقد فيه هذا الروح المنعم بالفكر والشعور ؟
ماذا كنا ؟؟ بعض هذا الهواء المنتشر في الجو ؟ بعض هذا التراب الممتد على
الأرض ؟ لا ندرى .. !!

وإذا كان ذلك نسيانا المادى فمن أى أصل تولد الفكرة والشعور ؟
إننى أجزم بأنى وجدت بعد عدم وأن هذا الابداع يتكرر جيلا بعد
جيل ومع دلالة هذا الخلق على رب مبدع عظيم على رب مقتدر حكيم ..
مع هذه الدلالة الصارخة فإن هناك صبا لا يسمعون وعميانا لا يبصرون
وناسا يتكلم أحدهم عن الله ولقائه بجهل غريب « أو لم ير الإنسان أنا
خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب مثلا مثلا - ونسى خلقه -
قال : من يحيى العظام وهى رميم » ..

وإن الشخص الذى يعرف من أى باب دخل الحياة لا يليق به أن يرسل
هذا السؤال ، إنه يتناقض مع نفسه حينما يستبعد وجودا كان هو صورة
حياة له ودليلا أنبأ على أمكانه ..

من يحيى العظام وهى رميم ؟ يحييها منشىء الإنسان من نقطة الصفر
إن البعث ليس وعدا بشيء يتم فى المستقبل فهو يستغرب الآن ..
إنه تكرر لعمل يتم كل يوم بل كل ساعة من ليل أو نهار فما وجه
الاستغراب فى وقوعه ؟؟ ولكنه الجهل الغليظ « قل يحييها الذى أنشأها
أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا .. »
فلنرسل فكرنا وراء هذه اللفظة ، هناك فى الحقول الناضرة والحدائق
الغناء حيث الصمت السائد والنماء البطيء « يتنفس » النباتات دون أن
نشعر وفى شهيته وزفيره يقول علماء الطبيعة أنه يمسك « الكربون »
ويرسل « الأكسجين » يمسك النار ويرسل لنا الحياة ما أعجب القدرة
وما أغرب هذه المتناقضات ..

وبمضى النظم الكريم يستكمل أدلة البعث ، ويشرح دلائل العظمة
الإلهية لم يختم السورة بهذا الختام « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء
واليه ترجعون » هذه سورة (يس) ، مقدمة تناولت رسالة محمد
بالشرح الوجيز وتناولت معارضيه ومؤيديه بالتعليق اليسير ثم ثلاثة مشاهد
فصلت وجه الحق فى هذه الرسالة الخاتمة تفصيلا تناول العالم من أمله إلى
أبده واستطاعت أن تدفع الباطل وتزروه هباء .

هذه هى السورة التى ارتفع صوت الوحي فيها « لينذر من كان
حيا ويحق القول على الكافرين » ومع ذلك فإن جماهير المسلمين تواضعت
على قراءتها فى المقابر بين رقعات الموتى .
ألا ما أظلم المسلمين لكتاب ربهم ، وتراث نبينهم ، وأساس تاريخهم ،
ومهاد حضارتهم .

وليسنا نزع أن المقدمة والمشاهد الثلاثة المذكورة قد انتظمت فى
قوالب فنية كما يصنع العلماء المحدثون فى تأليفهم ، كلا إن القرآن أكبر من
ذلك فاحتواؤه على المعاني يشبه احتواء الكون المادى على مصادر المعرفة
فى وحدة لا انفصام بين أجزائها .

ولكننا فى هذا اللون من التفسير نجتهد فى اكتشاف محور تدور عليه
الصورة كلها أو ملامح تشيع فى كياتها العام . ثم نصف ذلك للقارئ حتى
يحسن الانتفاع بالكتاب الكريم ..

نزل عيسى عليه السلام من أشراط الساعة



للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخاري عن ابن شهاب : أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ليوثكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر السليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويغيبى المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكسوا المسجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . » ثم يقول أبو هريرة : أقرأوا أن شقتم (وأن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) .

١ خبر نزول عيسى عليه السلام بلغ حد التواتر وقد وردت الأحاديث الشريفة الدالة على هذا الخبر في جميع الكتب الصحيحة (١) وتحدث به شارحا ومؤكدا كل علماء التفسير والحديث من لدن أن سمع هذا الحديث ومنذ أن بدا عهد التدوين وجدنا أحاديثهم وآراء مسطورة في آثارهم الشريفة وتنوّل قبل التدوين وجاء محكيّا عن الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين كما حمله خبرا موثوقا مؤكدا متواترا التابعون وتابعوهم بإحسان إلى يومنا هذا ، ولنسرد على أنظار القارئ الواعي الذي يلقي السمع وهو شهيد آثارهم عبر قرون وقرون ثم نعقب بما يقتضيه المقام :

١ - قال الشيخ محمد السفاريني في كتابه «لوامع الانوار البهية ص ٩٤ ج ٢» (٠٠٠ ونزوله اى عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب ، والسنة ، والاجماع أما الكتاب : فقوله تعالى : « وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » اى ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ، ملة ابراهيم حنيفا مسلما . وأما السنة : فقد ورد خبر نزوله في الصحيحين وغيرهما (كما هو مبين بالهامش) . وأما الاجماع : فقد اجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من اهل الشريعة ، وإنما حاول الإنكار الفلاسفة والملاحدة ، وقد انعقد اجماع الأمة على انه ينزل ويحكم بالشريعة المحمدية) .

ب - ساق العلامة الحافظ ابن كثير القرشي في كتابه (تفسير القرآن العظيم) ص ٥٧٨ ج ١ ، كل الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام الى الأرض من السماء آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وعند تفسيره قوله تعالى (وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) ، قال : قال ابن جرير : اختلف اهل التأويل في معنى ذلك ، وأصح أقوالهم ان هذا الإيمان يكون عند نزول عيسى عليه السلام ، يعنى لا يبقى أحد من اهل الكتاب بعد نزول عيسى الا آمن به قبل موت عيسى ، وهنا عقب ابن كثير بقوله : ولا شك ان هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لأن المقصود من سياق الآي هو تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله سبحانه انه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه اليه وأنه باقى حي ، وأنه سينزل قبل القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ، فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يقبلها من أحد من اهل الأديان ، بل لا يقبل الا الاسلام ، فأخبرت هذه الآية الكريمة انه يؤمن به جميع اهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال : (قبل موته) اى قبل موت عيسى الذى زعم اليهود والنصارى انه قتل وصلب (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) اى بأعمالهم التى شاهدتها هو قبل رفعه الى السماء وبعد نزوله الى الأرض كما ورد فى سورة المائدة فى الآية رقم ١١٦ وما يليها ..

ج - وقال الزمخشري في تفسيره « الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاول في وجوه التأويل » ص ٥٨١ ج ١ ، ٠٠ عند قوله تعالى (وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) : الضميران لعيسى عليه السلام بمعنى وان منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله ، حيث روى : انه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من اهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ٠٠٠

د - وأورد القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) ص ١٠ ج ١ ، ما يدل على نفس المعنى وأعاد النصوص كاملة كما هى مؤكدا بأسلوبه الخاص وعباراته المتميزة خبر نزول عيسى عليه السلام .

هـ - وقال أبو حيان الأندلسي القرطابي في تفسيره (البحر المحيط) ص ٢٩٢ ج ٢ : روى أنه - أي عيسى عليه السلام - ينزل من السماء في آخر الزمان ، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وأبو مالك ، ثم أورد أبو حيان ما لا يخرج عما أوردته غيره ممن سبقوه في معالجة تفسير القرآن العزيز .

و - وقال الألويسي البغدادي في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) ص ١٣ ج ٦ ما نصه : .. الضميران لعيسى عليه السلام وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وأبي مالك والحسن وقتادة وزيد واختاره الطبراني ، والمعنى : أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام إلا ليؤمنن به قبل أن يموت وتكون الأديان كلها ديناً واحداً ، وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب ويعطى المال حتى لا يقبل - أي المال - وتلا أبو هريرة رضي الله عنه (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) ...

ز - وقال القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل) عند قوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب ، إلا ليؤمنن به قبل موته) : أي ما من أحد من أهل الكتاب يدرك نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان إلا ليؤمنن به قبل موته ، أي موت عيسى ، أي لا يموت حتى ينزل في آخر الزمان يؤيد الله به دين الإسلام حتى يدخل فيه جميع أهل الملل ، إشارة أن موسى عليه السلام ، إن كان قد أیده الله تعالى بأنبياء كانوا يجددون دينه زماناً طويلاً ، فالنبي الذي ينسخ شريعة موسى وهو عيسى عليه السلام هو الذي يؤيد الله به هذا النبي العربي في تجديد شريعته ، وتهديد أمره والذود عن دينه ويكون من أمته بعد أن كان صاحب شريعة مستقلة وأتباع مستكثرة ، ذلك أمر قضاه الله تعالى في الأزل ، فاقصروا أيها اليهود ، فمعنى الآية إذن والله أعلم : أنه ما من أحد من أهل الكتاب المختلفين في عيسى عليه السلام على شك (٢) . إلا وهو يوقن بعيسى قبل موته بعد نزوله من السماء ، أي ما قتل وما صلب ويؤمن به عند زوال الشبهة - أ ه نقله القاسمي عن البقاعي . ثم أورد القاسمي بعد ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة في صحيح الإمامين البخاري ومسلم وغيرهما ، ومن تلك الأحاديث ما رواه الإمام أحمد في المسند ص ٤٣٧ ج ٢ ، طبع الحلبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « .. الأنبياء أخوة لعلات (٣) : دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فانه رجل مريوع يميل إلى الصخرة والبياض ، سبط ، كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين مَهْضَرَتَيْن (المصرة من الثياب هي التي فيها صفرة خفيفة) ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام ، ويهلك في زمانه المسيح الكذاب ، وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسود جميعاً ، والنور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان والقلمان بالحِشَات لا يضر بعضهم بعضاً فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه » ...

ح — وقال الحافظ بن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري بشرح البخاري) ص ٣٠٣ ج ٧ : قال العلماء : الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء ، الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه هو الذي سيقتلهم أول نزوله لدنو أجله ليذنب نفس الأرض اذ ليس لمخلوق من تراب الأرض أن يذنب في غيرها ، وقيل إنه — أي عيسى عليه السلام — دعا ربه لما رأى صفة محمد وأمنه فيها أنزل عليه من الإتيان أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وإبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله ... ونقل — أي الحافظ بن حجر — عن طريق أبي رجاء عن الحسن قال : قتل موت عيسى (يعني إيمان أهل الكتاب المشار اليه في الآية الكريمة) . والله أنه الآن لحى ولكن ، وإذا نزل آمنوا به أجمعون ، ونقله عنه أكثر أهل العلم ، ورجحه ابن جرير وغيره ..

ط — وأخيرا : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في فتاواه ص ٣٢٩ ج ٤ ما نصه : « والمسيح صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين لا بد أن ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرق دمشق ، فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ، ولهذا كان في السماء الثانية لأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة .. »

أما بعد : فهذه مصادر الشريعة (الكتاب والسنة والإجماع) التي لو طرحناها لما قام بناء الإسلام ولو شككتنا فيها لتطرق الشك إلى كل ما كانت تلك المصادر مصدره ، وأي كتاب يعتد به مرجعا بعد القرآن الكريم ، ونرجو عنده الخبر اليقين ، إذا نحن رددنا الصحاح التي اعتبرها علماء الملة من لدن أن بدت للوجود ، وقرئت في كل ناد ، ودوى صوتها يملا أجواز الفضاء ، وشسع نورها ، فأخرج ضحى المحجة الطاهرة وأغطش ليل الكفر البهيم ، فبهرت الدنيا شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرست قواعد العدالة ، والحق توجيهات ربنا جل وعلا وقام القرآن الكريم حارسا من زيغ وسياجا من ضلال . وسدا منيعا لا ينال حماه ضد كل مهاجم كاشح ، وحصنا رفيعا لا يطاول يصد كل غاز بقوة مادية تسلح ، أو بفكر فلسفي تذرع ، أو بهراوغنة وممالة أتصف ، أو بلسان أعجمي رطن (٤) ، أو عريب أفسح ، إن جاء شارعا رحمه صدته رباح ، وإن مخفيا مكره فآله خير المالكين ، وعلى هذا يمكن أن يقال : أنه مما لا يقبل الجدل ، ولا يحتل المماراة ولا يسدعو إلى المساطلة ، خير نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان الذي لا يعلم تحديده إلا من عنده مفاتيح الغيب التي لا يعطها إلا هو ، وسيكون نزوله ظاهرة أساسية ونظيرا وإيذانا بدنسو أجل الدنيا ، وطرقا قويا لأبواب الآخرة ولكن متى ؟ هنا يقف القلم عن الجريان ، وتخرس اللسان عن الكلام ، وتتجه الأبصار والبصائر إلى من عنده الجواب وحده ، وتناجي القلوب الطاهرة قيوم السموات والأرض : «ربنا إنا سمعنا منك ناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا ما غفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزننا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . »

٢ — ونعود إلى الفاظ الحديث الشريف موضع البحث ذاكرين معانيها وما

تشير إليه ، إذ مفتتح الكلام الشريف يشعر بقرب نزول عيسى عليه السلام ، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم (ليوشكن) أى ليقربن ويكون حصوله سريعا ، وهذا من أشرط الساعة ، وعلم توقيتها محجوب عن البشر لسر يعلمه الله تعالى ، وقد ألحّ السائلون عن الساعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قول الله تبارك وتعالى : « يسألونك عن الساعة إيان مرساها . فيم انت من ذكرها . الى ريك منتهاها . إنها انت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها » الآيات من سورة النازعات . وإني تسبقها نذر تنبئ عن اقترابها ، ولدى نزول عيسى عليه السلام سيفيض المال ويكثر لدرجة أن الناس لا يهتمون بتحصيله وإني ينحصر حرصهم على رضا الله تعالى في العبادة وحدها حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها .

قال ابن الجوزي : يشير أبو هريرة ، رضى الله عنه، عند تلاوته للآية الكريمة في آخر الحديث الى صلاح الدنيا وقوة إيمان الناس بالله تعالى ، وإقبالهم على الخير وقيامهم بالعبادة لله كاملة غير منقوصة ، وقال القرطبي : معنى الحديث : أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة . لكثرة المال حينذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد .. وفي قوله : ويضع الحرب إشارة الى أن السلام سيمم الدنيا ولا يوجد ما يدعو لقتال فسيصير الدين واحدا ، والحكم العدل هو عيسى عليه السلام على سبيل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

وهذا الحديث لا يتعارض مع ما ورد في أحاديث أخرى من أن الساعة لا تقوم الا على شرار الناس : وحتى لا يقال في الأرض : الله . الله . لأن الفساد المشار اليه سيحدث بعد موت عيسى عليه السلام ، ودقنه بالأرض، فحينئذ سيعود الكفر مسيطرا ، ويتجافى الناس عن كل دين ، فقد أخرج الإمام أحمد ومسلم من حديث ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الأرض أحدا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحداكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان ، فيقولون : ماذا تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، فيمبدونها وهم في ذلك في دار رزق حسن يعيشهم ... ثم ينفخ في الصور . »

والخلاصة : أن نزول عيسى عليه السلام حاصل باذن الله تعالى وتقديره ، ونحن نؤمن بكل ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة جملة وتفصيلا ، ومعلوم أن من آمن بالله وأيقن بقدرته التي لا يعجزها شيء سهل عليه التصديق

برسالة رسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وبالتالي يؤمن بكل ما صدر عنهم ما دام صحيحا متواترا مجيئا عليه من سلف الأمة وخلفها المتعاقبين في حقب الزمان المتطاولة ، وأما الملحدون في آيات الله تعالى فلا يقام لهم وزن ، فما يأتون الا بنظريات لا تثبت على المحك العقلي المتزن ، ولئن بدت بعض الأخبار الصادقة غريبة الآن فغرايتها لا تستدعي إنكارها فكم من مجهول كشفه العلم كان الحديث عنه مرفوضا في كل صور ، ولا يمكن ان يشاع ويذكر وإن صدر به قول وصف مصدره بالجنون والعته ، وقد أبدت الأيام صدق ما كانوا يحدسون ، وهذا في جانب البشر ، فما بالك بما عند عالم الغيوب ، لا شك أنه حق وصدق وسيكشف عنه كرم الغداة ومر العشى . . وفي الذكر الحكيم : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ٥٣ من فصلت . صدق الله العظيم .

(١) : ورد هذا الحديث نسا أو مع اختلاف يسير في الالفاظ الآتية لا على سبيل الحصر وانما على سبيل المثال :

١ - ورد في صحيح الإمام البخاري في باب نزول عيسى عليه السلام وذكر فيه حديثين عن أبي هريرة .

٢ - وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه من رواية الثعلبي بن سعد عن ابن شهاب ، ومن هديث ابن عمر رضي الله عنهما .

٣ - وذكره أبو نعيم في المستخرج من سند أسحق بن راهوية .

٤ - وأورده الإمام أحمد في مسنده من وجه آخر عن أبي هريرة .

٥ - وذكره الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل .

٦ - ورواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق سعيد بن جبيرة بإسناد صحيح

٧ - ورواه أبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مرفوعا .

٨ - ورواه ابن ماجه ، وابن حبان ، والبيهقي .

(٢) يشير الى قوله تعالى في الآية رقم ١٥٧ من سورة النساء : « .. وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما ظنوه يفتينا » .

(٣) بنو العلات : أبناء الرجل الواحد من أمهات شتى : (لسان العرب مادة مل) .

(٤) وطن الأعجمي وطننا تكلم بلفظه ، والوطانة والمراطنة : التكلم بالمعجبة ، وقد تراثنا ، تقول رأيت أعجميين يترافضان ، وهو كلام لا يفهمه العرب ، قال الشاعر : (كما تراثن في حافاتنا الروم) .. الخ .. عن لسان العرب مادة « وطن » .



للسيخ عبد الحميد السائح

كثير من العظماء تحدث عنهم التاريخ القديم والحديث ، من رسل وأنبياء ، ومصلحين وشعراء ، ومع هذا فلم ينجوا من الشك يحوم حولهم ، في وجودهم وفي أخبارهم ، فضلا عن نواحي عظمتهم وأسباب بروزهم .
فهذا السيد المسيح عليه السلام الذي ينتسب إليه مئات الملايين من البشر ، يترددون في وجوده ، ويحيطونه بهالة من التشكيك ، حتى كأنه أسطورة أو خرافة .

ولم يقتصر هذا الموقف على السيد المسيح بل شمل الكثيرين من الرسل والأنبياء مثل إبراهيم واسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام .

لم يصدر هذا التشكيك من عرب ولا من مسلمين ، لأن المسلم ، بحكم عقيدته ، يؤمن بوجود هؤلاء الأنبياء كما يؤمن بوجود محمد عليه السلام ، بناء على قوله تعالى : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (١) .

وهذه الآية وأمثالها من آيات كتاب الله ، بالنسبة للمسلم ، حجة قاطعة ، لا تقبل نقاشا ولا تأويلا ، فمن شك فى وجود أى من أولئك الرسل والأنبياء أو غيرهم ممن ذكروا فى القرآن الكريم لا يصح اسلامه ولا تسلم عقيدته .

ومن أجل هذا فإن الدكتور طه حسين حينما أصدر كتابه « فى الشعر الجاهلى » وذكر فيه : للقرآن والتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، ولكن ذلك لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى : تصدى الأزهر الشريف حينئذ لمعارضة ذلك معارضة حادة ، واعتبر الموقف منافيا لتعاليم الاسلام ، ومصادما لهدى القرآن .

وإنما صدر التشكيك أساسا عن شخصيات غريبة يفترض أنها تنتسب للسيد المسيح أو تدعى بديانته .

قال ول دورانت فى موسوعته التاريخية « قصة الحضارة » : « هل وجد المسيح حقاً ؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمره أحزان البشرية وخيالها وأماليها ، أسطورة من الأساطير ، شبيهة بخرافات كرنشنا وأوزوريس وإيزيس ... »

لقد كان بولنجروك والمثقفون حوله يقولون فى مجالسهم الخاصة ، ان المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق .. الخ . وقد شمل التشكيك كثيرين من العظماء والشعراء .

محمد فوق الشبهة أو التشكيك

أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى وجوده ، وبمكان ميلاده ووفاته ، فلم يثر حوله أى من الشبهة أو الإنكار لا فى الشرق ولا فى الغرب لأنه يمثل العظمة الخالدة ، والحقيقة التاريخية ، التى لا تمارى ولا تبارى . ونحن لا نريد أن نذكر الغربيين أو المستشرقين الذين يميلون للسير وراء الحقائق أو البحث عنها ، وإنما نشير الى جورج سال ، الذى ترجم القرآن الكريم فى مستهل القرن الثامن عشر للأساءة الى الاسلام ونبى الاسلام ، وهو ينضح بالحقد والتعصب والكراهية ، ومع هذا فلم يسمع إلا الاعتراف بشخصية محمد وإن كان مئبته لم يسدل عليه سدول النيسان ، وإن توقير العرب له كان عميقا ، حتى أنهم لم يدعوا المكان الذى تنفس فيه أول ما تنفس يكتفه ريب أو غموض .. الخ (٢) .

نواحي عظمته

إن المتتبع لما وصل إلينا من أخبار سيدنا محمد منذ ولادته ، وفى أثناء طفولته وشبابه وكهولته ، الى أن اختاره الله رسولا الى البشرية ، ومنتقدا للإنسانية ، من مهاوى الضلال والانحراف تتجلى له نواحي العظمة الخالدة والصفاء المتسامى ، عن الانحراف فى مجتمعه ، والتأثر ببنيته ، ويدرك كيف صنعه الله على عينه ، وهياه لأفضل رسالة وأكرم مهمة ، « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٣) .

فبمئذ نشأته صلى الله عليه وسلم عرف بعزوفه عن الأصنام وتعظيمها ، وصدق الحديث ، والإمامة ونصرة المظلوم ، وقد حبيب اليه التعبد لربه ، وكان يخلو بفار حراء يعتمد فيه ، وكانت عبادته تفكراً فيما آل إليه أمر الناس من ظلمات الجاهلية ، المنافية كل المنافاة ، للعقل والفطر السليمة ، وكيف السبيل إلى شفائهم من هذه العلل المستحكة ؟ وقد أنبته الله نبأاً حسناً ، حتى كان أفضل قومه ، مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأعزهم جواراً ، وأعظمهم حليماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأحفظهم لأمانة ، حتى سماه قومه « الأمين » لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة ، والخصال الكريمة المرضية . (٤)

الاستسقاء به وهو طفل :

أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفة قال : قدمت مكة وهم في حط ، فقالت قريش : يا أبا طالب ، اتخط الوادي واجذب العيال ، فلهم فاستسقى ، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن ، تجلت عنه سحابة فتماء حوله أغيلة ، فأخذ أبو طالب ، فالتصق ظهره بالكعبة ، ولاذ بأصبعه الغلام ، وما في السماء قزعة ، فاقبل السحاب من هنا وهناك ، وأغدق وأغدوق ، وانفجر الوادي وأخصب النادى والبادى ، في ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٥)

خروجه من مكة

وكان يخرج حول مكة يعمل في رعى الغنم ، وروى ابن أبي شيبة أنه لما بلغ الثانية عشرة خرج مع عمه أبي طالب حتى بلغ بصرى ، فراه بحيرا الراهب فعرفه بصفته ، وقال هذا سيد العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين ، وإنا نجده في كتبنا ، وسأل أبا طالب أن يرده خوفاً عليه من اليهود . ثم خرج مرة أخرى ومعه ميسرة غلام خديجة في تجارة لها ، حتى بلغ سوق بصرى ، وله حينئذ خمس وعشرون سنة ، ونزل تحت ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب ، ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي ، وتضاعف ربحه في تجارته .

وإذا عرفت أن اجتماعه مع بحيرا في المرة الأولى ، ومع نسطورا في المرة الثانية لم يتجاوز الساعات المحدودة ، تدرك مدى الإغراق في الخيال والبعد عن الحقيقة فيما زعمه بعض المستشرقين الحاقدين ، من أنه تلقى علم أهل الكتاب عن دينك المصدري ، ويكفي أن نرد عليهم بقول الله سبحانه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك أذن لا رتاب المبطلون » (٦) . وأنه كان يسفه مزاعم أهل الكتاب التي تتنافى مع عقيدة التوحيد الخالص ، وصدق الله العظيم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٧) .

زواجه

ولما عاد من رحلته وراة خديجة آثار أمائه وبركته عرضت نفسها

عليه وكانت سنه اربعين سنة ، فتزوجها وكان ابن خمس وعشرين سنة ، وأقدم على ذلك وهو يعلم انها أرمل وتزوجت قبله بعين ، ولم يتزوج عليها حتى توفيت ، وكان وفيها لها مقدرا لمواقفها وخصائصها في حبها للخير ورجاحة عقلها ، واستمر على هذا التقدير بعد وفاتها .

حسلف الفضول

وقد ساهم صلى الله عليه وسلم في عفوان شبابه في حلف الفضول ، وكان أكرم حلف سمع به العرب وأشرفه ، وخلصته أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة ، واشترأها منه العاص بن وائل ، وكان ذا قدر وشرف بمكة ، فحبس عنه حقه ، فاستمدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجبعا وسهما وعديا ، فأبوا أن يعينوه على العاص ، فعلا جبل قبيس فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته ، فسمى في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا بترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم ابن مرة في دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياها ، فتعاهدوا وتعاندوا بالله ليكون يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤدي إليه حقه ، ثم مشوا إلى العاص وانتزعوا منه حق الزبيدي ، وقال الزبير :

ان الفضول تحالفوا وتعاندوا أن لا يقيم بيطن مكة ظالم
أمر عليه توافقوا وتعاندوا فالجار والمعتز فيهم سالم
قال ابن اسحق فحدثني محمد بن زيد التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدت نسي دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حبر النعم ، ولو دعى به في الاسلام لأجبت (أ) .

بناء الكعبة

وكان السيل هدم الكعبة قبل الاسلام فتعاونوا على بنائها ، وشارك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وكان ينقل الحجارة معهم ، ولما انتهوا إلى موضع الحجر الأسود تنازعوا أيهم يضمه ، ثم اتفقوا على أن يرتضوا بأول من يطلع عليهم من باب بني شيبه ، فكان صلى الله عليه وسلم وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه وصدق لهجته ، واجتنبه القاذورات والأدناس ، فحكوه في ذلك وانتادوا لقضائه كما هو معلوم (٩) .

اختياره لرسالة ربه

ولما اكتمل نضجه وتم إعداداه وبلغ أربعين سنة ، اختار الله أفضل خلقه لأكرم رسالة ، وبعثه للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ورحمة للعالمين . ولما نزل عليه الملك بآيات القرآن الكريم رجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، حتى دخل على خديجة وأخبرها بما جرى ، قالت : فوالله لا يخزيك الله أبدا ، أنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل

وتكسب المدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

وهذه الصفات التى تحدثت بها خديجة رضى الله عنها تنبىء عما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من حب الخير وبذل العون والمساعدة ، وكريم الأخلاق التى عرف بها قبل الرسالة ، وأن المتأمل فى صفحات سيرته ، والمدقق فى مراحل شريعته وسننه ، وقد خلا قلبه من الفل والحقد والحسد ، يرى يعينى بصره وبصيرته ، ما يجعله يؤمن بأن هذه الشريعة السمحة ، وما تضمنته من مبادئ سامية هى شريعة الله الى خلقه ، لانتقاذهم من مهاوى الجاهلية والمفاسد ، والقضاء على أسباب الفتن والمعداء ، والارتفاع بالبشرية الى درجة المحبة والأخاء والوفاء ، من غير عصبية ولا تكبر ولا استعلاء ، ونشر الروية العادلة المطلقة بين البشر ، والمساواة والحريسة والأمان ، لا يفرقهم عرق ولا لون ، ولا لغة ولا مكان ، ولا حسب ولا نسب ، فالكل أمام قانون هذه الشريعة سواء .

وإنما نبين بعض تلك المبادئ من كتاب الله وسنة رسوله للذكرى والاعتباط « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » (١٠) .

١ - « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » (١١) .
٢ - « ولا يجرمكم سفن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (١٢) .

٣ - « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١٣) .

٤ - « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » (١٤) .

٥ - « ولقد كرّمنا بنى آدم » (١٥) .

٦ - قال الرسول صلى الله عليه وسلم : عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فإن الله لا يمل حتى تملوا (١٦) .

٧ - قال الرسول صلى الله عليه وسلم : الخلق كلهم عيال الله وأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله (١٧) .

٨ - أن النبى صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام ، فقيل له : إنها جنازة يهودى ، فقال : ليست نفسا ؟ (١٨)

٩ - قال صلى الله عليه وسلم : أيها أهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله (١٩) .

١٠ - إن الله فرض للفقراء فى أموال الأغنياء قدر ما يسعهم ، فإن منهوم حتى يجوعوا أو يجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا (٢٠) .

١١ - إن الأثريين اذا أرملوا فى الغزو أو قتل طعام عيالهم نسى المدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم بناء واحد بالسوية ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : فهم منى وأنا منهم (٢١) .

١٢ - قال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراجحوا ، قالوا : كلنا رحيم يا رسول الله ، قال : انه ليس برحمة احدكم ، يعنى نفسه واهل خاصته ، ولكن رحمة العامة (٢٢) .
 ١٣ - قال الرسول صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : ان كنتم تريدون رحمتي فارجحوا خلقى (٢٣) .
 ١٤ - قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ان احبكم الى الله احسنكم اخلاقا ، الموطنون اكثافا ، الذين يالفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الى الله المشاعون بالنميمة اللتيسون العثرات ، المفرقون بين الاخوان (٢٤)
 ١٥ - قال صلى الله عليه وسلم : اد الامانة الى من اتتهنك ، ولا تخن من خاتك (٢٥) .

١٦ - قال صلى الله عليه وسلم : احب للناس ما تحب لنفسك (٢٦) .
 ١٧ - قال صلى الله عليه وسلم : المؤمن من آمن الناس على اموالهم وانفسهم (٢٧) .

١٨ - ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث جيشا قال : انطلقوا باسم الله ولا تقتلوا شيئا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تظفوا ، وضموا غنائكم واصلحوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين (٢٨) .
 ١٩ - حينما بعث ابو بكر جيوشا الى الشام كان من امراء الجيش يزيد بن ابي سفيان وقد اوصاه بقوله : لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيراً هرمًا ولا تقطع شجرة مثمرة ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا ، إلا لماكلة ، ولا تفرقن نخلا ولا تحرقنه ، ولا تغلوا ولا تجبنوا (٢٩) .
 هذا غيض من فيض يدل على سمو المبادئ والخصال التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اليها ، ويعتبرها جزءا من رسالته وهي من دلائل عظيمته ، وعظمة الرسالة التي حملها الى البشرية .

تاريخ الميلاد

المشهور في العالم الاسلامي قديما وحديثا أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين في ١٢ ربيع الأول ، اعتمادا على ما ذكره في كتب السير مثل محمد بن اسحاق والسير الطيبة وغيرها ، ولكن محمود باشا الفلكي في كتابه « التقويم العربي قبل الاسلام ، وتاريخ ميلاد الرسول وهجرتة صلى الله عليه وسلم » ترجمة حفيد المؤلف السفير محمود صالح الفلكي ، بعد أن استعرض ما في المراجع العربية وغير العربية ، القديمة والحديثة ، من أصحاب السير والمؤرخين وعلماء الفلك ، وصل الى نتيجة هي : أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين في ٩ ربيع أول الموافق ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ٥٧١ م (٣٠) .

وقد اعتمد هذا التاريخ كثير من العلماء والمؤلفين المعاصرين نظرا لما يتبع به المؤلف من خبرة وثقة واطلاع واسع .

أول من أحت الاحتفال بالمولد

لم يعرف عن أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن

التابعين وتابعيهم أنهم كانوا يحتفون بذكرى المولد النبوي الشريف ، لأنهم كانوا معنيين بتطبيق شريعته ، والأخذ بسنته ، والافتداء بهديه ، عملا بقول الله سبحانه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٣١) .

ولما تباعد المسلمون عن تنفيذ شريعة الله ، والانساء بهدى رسول الله ، وساد المجتمعات كثير من أنواع الفساد والمنكرات لجأ بعض الناس الى احداث مثل هذه الاحتفالات بنية حسنة أو غير حسنة ، لاطهار تعلق الناس بحبة رسول الله ، وكل ما يتصل به ، أو لاتخاذ ذلك وسيلة لأخذ الأموال والعطايا والهبات .

وقد أحدث الاحتفال بالمولد النبوى فى عهد الملك مظفر الدين بن زين الدين ، صاحب اربل سنة ستبائة هجرية ، أحدثه له بعض الصوفية ولم يكن له اصل فى الدين .

وذكر ابن كثير أن أبا الخطاب عمر بن الحسن الأندلسى الدانسى المحدث (المعروف بابن رحية) اشتهل ببلاد المغرب ثم رحل الى الشام ثم الى العراق واجتاز اربل سنة أربع وستمائة ، فوجد ملكها يعتنى بالمولد النبوى ، فالف له كتاب « التوير فى مولد السراج المنير » فقرأه عليه واجازته بالف دينار ، وقد انتقد فى اقدامه على ذلك وهو من رجال الحديث الشريف .

وكان صاحب اربل ينفق على المولد فى كل عام ثلثمائة ألف دينار ، وقد ذكر تفاصيل ذلك فى تاريخ ابن خلكان وشذرات ابن العماد وتاريخ ابن كثير (٣٢) .

وقد افتن المسلمون بعد ذلك انواعا من الاحتفالات والتظاهرات ، وبعضها يجمع من الفتن ما يجب الترفع عنه خصوصا فى هذه الذكرى العطرة .

رأى

والذى أراه أن المسلمين لو عادوا الى دينهم ليفتروا من يتابعيه الأولى مناهج حياتهم ، لكانت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم موضع الرعاية والعناية والتنفيذ ، ولا ستولى على مجتمعاتهم الطابع الاسلامى ، الذى يجعل من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه مشجعلا يضىء لهم سبيل السلوك الصحيح فى سائر ميسادين حياتهم ، ولاستغنوا عن الاشتغال بهذه المظاهر التى لا ينفذ منها شىء الى قلوبهم ، ولا تأثير من اساليب حياتهم ومظاهر سلوكهم .

ولو أنهم اقتصروا فى هذه المناسبة على تعبداد مناقب الرسول ومواقفه فى جهاده وتضحياته وسلوكه فى الحياة ، وأظهروا نواحي عظمته التى كانت من اسباب نشر دعوته ، لكان فى ذلك جنوح الى الاستفادة من هذه الذكرى العطرة بجمل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مثلا يحتذى ويقتدى .

حالة المسلمين في هذه الذكرى

جمل الله العزة من صفات المؤمنين ، قال سبحانه : والله المصرة
ورسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون (٣٣) . وقال صلى الله عليه
وسلم : إذا نلت العرب فل الإسلام (٣٤) .

ولكننا نرى بأعيننا هذه المهلة الكبرى النسي انظمت ديار العروبة
والاسلام ، اينما اتجهنا ، نتيجة تأمر قوى الشر والظلم والاستعمار
بجميع أنواعه والوانه ، ودعم الصهيونية المالية في احتلال الديار المقدسة
وتشويه معالمها والقضاء على حضارتها وازالة آثارها العربية والاسلامية ،
حتى بلغ بهم الاستهتار الاعتداء على المسجد الأقصى المبارك بالقدس ،
وعلى المسجد الابراهيمي الشريف بالخليل وانتهاك حرمتيهما وحرمت اماكن
مقدسة أخرى . وقد زادوا عتوا واستعلاء حين اعتدوا أخيرا على لبنان في
الاعمق ، مستعينين بقوات برية وجوية وبحرية ، ليقتلوا الأمنين من
الشيوخ والنساء والأطفال ، وحين اعتدوا على الطائرة الليبية المدنية فقتلوا
منا ما يزيد على مئة شخص من الأبرياء ، ولم نر من البلاد العربية او
الاسلامية الا الحشرات والزفرات والاثام والآفات ، ومن الرأي العام
العالمى إلا كلمات التائب حينا وكلمات التبرير حينا آخر ، حتى أخذ العربى
والمسلم يتسائل عيا اصاب العرب والمسلمين من تخاذل وتمكك ، وانحلال
واضمحلال ، ومتى تتحرك جيوشهم وقواهم لرد العدوان ، وماذا يبدىهم
الاحتفال ببطل هذه الذكرى وهم ابعد ما يكونون عن أن يمثلوا صفة المصرة
والقوة والاعتصام ؟ مع أنهم لو جمعوا قواهم وبادروا لتحمل مسؤولياتهم
وبذلوا أنفسهم ونفائسهم في سبيل الله ، لكانوا قوة بحسب حسابها ، لهابهم
أعداؤهم ولحققوا هدف قول الرسول الاعظم « مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعلفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
الجسد بالسهر والحمى » (٣٥) .

ولنفذوا ما ترمى إليه الآية الكريمة : كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٣٦) .

وليعملوا بقول الله سبحانه : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا
عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟
فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (٣٧) .
غفور رحيم » (٣٨) .

وذلكم هو السبيل الذى يرضى الله ورسوله عنا ، ويجعلنا جديرين
بنسبتنا الى هذا الرسول العظيم ، ويحقق لنا محبته ، كما قال سبحانه :
« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله
غفور رحيم » (٣٩) .

وأخيراً اختتم هذا البحث بقول الحسن البصري : ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتقنى ولكن بما وقرئ في القلب وصدقته الأعمال (٣٩) .

فنسال الله أن يلهم قادتنا وولاة أمورنا رشدهم وصوابهم ، وأن يوفقهم للالتحام في موقف موحد يدفع عن الجميع العار والشنار والذلّة والمهانة ويصل بنا إلى درجة العزة والشرف والكرامة .



- (١) ٨٤ آل عمران . (٢٣) أحمد بن عدى - الكامل .
 (٢) نهى الإنسانية للاستاذ أحمد حسين . (٢٤) ابن الخطيب .
 (٣) ١٢٤ الاتهام . (٢٥) البخارى في التاريخ .
 (٤) مختصر السيرة لأحمد بن عبد الوهاب . (٢٦) البخارى في التاريخ .
 (٥) البخارى ، ومختصر السيرة للشيخ عبد (٢٧) ابن ماجه .
 الله بن محمد بن عبد الوهاب . (٢٨) أبو داود .
 (٦) ٤٨ المنكوت . (٢٩) مالك ، وقد ذكرت هذا وإن كان قول
 (٧) ٩ الحجر .
 (٨) و (٩) مختصر السيرة للشيخ عبد الله
 ابن محمد بن عبد الوهاب .
 (١٠) ٥٥ الذاريات .
 (١١) ٦٤ آل عمران .
 (١٢) ٨ المائدة . (٣٠) ٤٤ صفحة .
 (١٣) ١٣ الحجرات . (٣١) ٢١ الأحزاب .
 (١٤) ١٠٨ الاتهام . (٣٢) معارف السنن شرح سنن الترمذى
 (١٥) ٧٠ الاسراء .
 (١٦) البخارى .
 (١٧) الجزائر والطبراني في معجمه . (٣٣) ٨ اقباقون .
 (١٨) البخارى . (٣٤) أبو يعلى في مسنده .
 (١٩) ابن أبى شيبة في مسنده . (٣٥) البخارى ومسلم .
 (٢٠) الخطيب - المقرئ . (٣٦) ١١٠ آل عمران .
 (٢١) البخارى ومسلم . (٣٧) ١١٢ توبة .
 (٢٢) مستدرک الحاكم . (٣٨) ٣١ آل عمران .
 (٢٩) البخارى .



للإستاذ على الططاوى

ويخطب ويكتب ويحدث عشرات
وعشرات ممن هم أصفى منى جنانا ،
وأكثر إيماننا ، وأفصح لساننا ، وأجلى
بياننا ، وأقدم زماننا ، خطبوا على كل
منبر ، وكتبوا فى كل جريدة ومجلة
- وحدثوا من كل إذاعة - فمالذا
كانت ثمرة هذا الجهد كله ؟

هل نحن اليوم فى مجتمعنا : فى
بيوتنا ، فى مدارسنا ، فى محاكمنا ،
فى أسواقنا ، فى أزبائنا نساءنا ،
وسلوك شبابنا - هل نحن اليوم
أقرب الى الاسلام أم قبل خمسين
سنة ؟

من كان يقدر أن يتصور يومئذ أننا
سنسير الى ما صرنا اليه اليوم ؟

أخذت القلم ، وقعدت لأكتب
المقالة التى شرفنى الأستاذ رضوان
حين كلفنى كتابتها للجزء الممتاز من
المجلة - فورد على وارد صرف ذهني
عنها ، وجعلني أسأل نفسي : لماذا
أكتب ؟ وما الفائدة من الكتابة ؟

هل نفعنا الأحاديث والخطب
والمقالات ؟

أقد خطبت أول خطبة عامة سنة
١٣٤٥ هـ (من نحو نصف قرن) وما
زلت أخطب ، وكتب من تلك الأيام
وما زلت أكتب ، وحدثت فى الإذاعة
من يوم أتشئت محطة الشرق الأدنى
فى (يافا) قبل الحرب ، وما زلت
أحدث .

اكان ذلك لأن الذي ندعو اليه باطل ؟

هذا محال ، لأن الاسلام ميعن من جوهر الحق ، لا من اعراض الؤهام أم كان لأن الاسلام بليت حقائقه ، فلم تعد تقوى على مواجهة الخطوب ، فى عصر تنجيس الذرة ، واقتحام الفضاء ؟

كلا ، فالإسلام كان جديدا لما جاء ، وبقي جديدا ، لا يبلى ولا يتقدم الا فى الاذهان التى تعجز أو تكسل أو تزهد فى كشف اسرار القرآن ، وهى لا تنفذ على مر الزمان ، ولا تزال ابداً يفيض نبعها لمن يعرف طريق الاستقاء منها ، ولا يزال الذهن البشرى يكشف فى كل عصر من هذه الأسرار ما لم يكشفه السابقون .

لقد اظهر تقدم العلوم فى ايامنا معانى آيات — كانت فى خفاء — وكان المفسرون يحاولون ادراكها ، فيجربون ولا يصلون ، ولا تزال فى القرآن آيات فيها اشارات وتلميحات لأسرار سنن الله فى الوجود ، وقوانينه فى الطبيعة ، لم يصعد العلم بعد السى الذروة التى يكشفها منها — وهذا من الأدلة على أن القرآن كتاب لم يخرج من فكر بشرى — لأنه يستحيل على انسان مهما كان عبقرى ، أن يشير الى علوم لم يكن فى اياه ، ولا بعد اياه بالف سنة من عرفها أو سمع بها ، أو قدر وجودها .

كلا — اقولها مرة ثانية ، فالاسلام كان صالحا لعصر محمد وصحبه ، وبقي صالحا فى عصر النبوة والصاروخ ومركبات القمر ، وسيبقى صالحا ، وسيبقى دستور الحق والخير والجمال ، وطريق سعادة الجسم والمقل والروح فى كل عصر . وهذه دعوى ضخمة ، ولكن معنا دليها ، وهو دليل أضخم من الدعوى فلم يكن هذا الفشل اذن ل (تصور) فى الإسلام ، فهل كان ل (تقصير) منا

ومالى افترض الفروض ، واقتصر الوقائع ، وعندى رسالة لى مطبوعة سنة ١٣٤٧ هـ ، عنوانها (ديثق بعد تسعين سنة) ، صورت فيها بخيال شبلى الجالغ اغرب ما (وصل اليه) خيالى . فإذا الذى حدث عملا — فى خمس وأربعين سنة يسبق ما تخيلت وقوعه فى تسعين سنة !

نعم ، والرسالة مطبوعة موجودة ، وحالنا قائم لموس بل لو تخيل رجل فى الكويت قبل ربع قرن حال الكويت اليوم ، لحسبوه قد جن ومقد العقل فلماذا انتهت جهودنا الى الهزيمة والفشل ؟

فكروا : لماذا ؟

لو استقرت ائراد المسلمين لوجدتم الكثرة الكاثرة لا تزال تؤمن بالله واليوم الآخر ، أو تريد أن تعد من المؤمنين ، وتكره أن توصف بالالحاد أو بالفساد ، ولوجدتم فيهم علماء كثيرين ، وخطباء وواعظين ، ومحاضرين ومدرسين ، كلهم يدعو الى الله ، أو يحب أن يعد مع الدعوة اليه .

ووجدتم المساجد لا تزال ماهرة بالمصلين ، وخطب الجمعة تعلن بالمكبرات والاذاعات والمدارس لا تزال تدرس فيها علوم الدين ، وأن مسخت منهاجها ، ونقصت ساعاتها ، والاذاعات لا تزال تبدأ برامجها بالقرآن وتختمها بالقرآن ، وأن وضعت بعد القرآن فى الافتتاح عزفا على العود ، وقبل القرآن فى الختام مسرحية تكشف فيها العورات ، وتظهر فيها المحرمات .

فكيف استطاع الدعاة من اعداء الاسلام (مع هذا) أن ينجحوا من حيث فشلنا نحن دعاة الاسلام ؟ ألا ترون أن هذه المسألة تستحق أن تعرض فى العدد الممتاز ، وأن نجد لها الجواب ؟

فى الدعوة الى الاسلام ؟

لأننا لم نستطع أن نستخرج من أصول الاسلام (من الكتاب وصحيح السنة) الا قضية واحكام الملائمة لههذذا الزمان ، ولاننا (او لأن مشايخنا) وقفوا عند كتب الفقه ، يقرؤونها ويمعدونها ، لا يستطيعون الكلام عما ليس فيها ، وعما جد من الأوضاع والمعاملات بعد موت مؤلفيها ، فلما لم يجد الحكام عندهم حلالا لمشكلات العصر من شرع الله ، عمدوا الى قوانين الاجانب فآخذوها ، وتركوا دينهم لها ، فكان علينا قسط كبير من تبعه هذذا الذنب الكبير ، كما قال ابن القيم فى (الطرق الحكيمة) ؟

• • •
ام لاننا ندعو الناس ، وندعو الشبان والشابات الى الدين بغير الأسلوب الذى يصلح لدعوتهم ، واننا نخطب اهل هذذا العصر بلسنة العصور الماضى ، نفتح الكتاب المؤلف من قرون ونقرأ عليهم منه ، فلا يسمعون منا ، ولا يفهمون عنا ؟
ام لطبيعة الوقت ، وانه ثقيل على النفس ، لأن النفوس تهوى الاتطلاق والشرع يقيدها ، وتميل مع اللذة حيث مالت والشرع يمدلها .

هذذا واقع ، ولكن العقل ايضا (كاسبه) قيد ، والحكمة قيد ، واسمها مشتق من حكمة الدابة ، والقوانين قيد ، والحضارة قيد ، والذى يريد أن يتفككت من كل قيد يصير مجنوننا ، فالمجنون هو الحر الحرية المطلقة ، يعمل كل ما يشاء ، يمشى عاريا ، يعمرى امراته ونساء المسلمين ، يركب على كنفى سائق السيارة ويخلى ساتيه . يمنع للصوم الأموال ويسمح للصوم الاعراض ، يحارب من يأتى ليفسد صحة الناس ، أو يزهدهم بالولاء لوطنهم ، ويدعوهم للولاء لاسرائيل ، ويسالم المبشرين الذين يريدون اخراج اولاد المسلمين

من دينهم ، وادخالهم فى دين غيره . هذذا الذى له الحرية المطلقة الذى يفعل بها ما يشاء ، وهذذا هو المجنون .
ام لأن فيها من يجعل فى الدعوة ولا يفصل ، فيكون كراكب الطيارة تعلق جدا حتى لا ترى الكويت الانقطعة سوداء ، على سيف البحر ، فيصفها فلا يفيد وصفه اياها . ومن يفصل قبل الاجمال ، كمن تريد منه وصفا عاما للكويت ، فيصور لك داره فيها ، ويذكر كل ما فى الدار ، من اثاث ورياش وازهار واشجار ، فلا تفهم من ذلك شيئا عن وضع الكويت .
أو يزيد على ذلك فيدعى أن داره هى الكويت ، ويرد عليه جاره فيصف دار نفسه ويظن انه وصف الكويت .
نعم ، منا من ينادى بالرجوع الى الاسلام ، ويكرر ذلك ويمعده ، ولكن لا يبين كيف يكون الرجوع الى الاسلام ، كخطباء الجمعة ، يأمرون بتقوى الله ، وهذذا حق ولكن لا يوضحون للناس كيف يتقون الله ، فلا يستفيدون من قولهم (اتقوا الله) ومنا من يأخذ بعض الفروع فيجعلها هى الدين ، ويلقنها الشبان الناشئين ، يداوهم بها قبل تصحيح العقيدة ، وقبل معرفسة الكبائر لاجتنابها ، والفرائض للقيام بها .

ثم تختلف على هذذا الفروع ، وتجادل وتختصم ، ونضع باننا بيننا ، ومعمل الاحاد ، و (دينايته) يعمل فى أساس بناء الاسلام ، فاذا تصدعت العمارة ومالت الى السقوط ، هل يهتم أحد بكسر قفل الباب ، أو زجاج النافذة ؟
إذا كان المريض المصاب بسرطان القلب تحت ايدى الجراحين ، فى غرفة العمليات وهم يعدون الثوانى يخافون أن يعاجله الموت قبل اتمام العملية ، هل يهتم أحد بشوكة دخلت تحت ظفره ؟

فما لنا نهتم بالفروع والاغصان ،

وجذع شجرة الاسلام ، مهدد بالكسر ،
لا سمح الله ، ولن يسمح ان شساء
الله ، لأن الله تمهد بحفظ هذا الدين
فالدين محفوظ ولكن الامتحان لنا ،
فاما ان نصر الله فينصرنا ، واما ان
نخذل شرعه ، فيستبدل بنا قوما غيرنا
يدخل في الاسلام شعب من الشعوب
الحية ، فيحمل لواءه ، ويملي مناره ،
ونكون نحن (لا قدر الله) كفراء
اليهود ، لا دنيا ولا دين .

...

ام لان فينا من يعط الناس ولا
ينتمط ، ويأمر بالمعروف ولا ياتيه
وينهى عن المنكر ويقع فيه ، يكذب
بلسان حاله ، ما جاء بلسان مقالته ،
يخالف فعله قوله ، وتناقض سيرته
وعظه ، فينثر ضعاف القلوب من
الدين ، ويكون حجة لهم على
الصادقين من الداعين .

ام لان منا من آثر دنياه على
آخريته ، ورضا الحكام على رضا
الله ، فوقف على ابوابهم ، ومشى
في ركابهم ، فلما رأى ذلك العالة ،
ظنوا بان جميع الداعين ، مثل
هؤلاء المنحرفين ، مع ان الله لا
يخلو هذه الأمة من علماء يريدون
وجهه وحده ، يصدعون بالحق ،
لا يقولون إلا ما يرضى الله ، فاذا
عمت الفتنة ، وعلت الضجة ، ولم
يعد يسمع صوت الحق ، كان
اقصى امرهم ان يسكتوا ويمتزلوا ،
وينكروا بقلوبهم ، لا يسايرون أحدا
قط على حساب دينهم .

...

ام لان الهجوم علينا كان اقوى
من دفاعنا ، لأننا لم نعد للمعركة
(معركة الاحاد والفساد) ، فخطا
محكمة كخطط عدونا ، بل نحن لم
نعرف ماذا يخطط لنا العدو ، الذي
يدخل علينا من كل باب ، من مناهج
المدرسة ، وازياء الثياب ، ووسائل
الاعلام ، وقوانين الدولة ، وما تخرج

المطابع من كتب ، وما يشتمل عليه
الفن من اشكال والوان ، من كسل
ذلك يدخل علينا العدو ونحن لا ندري ،
ولا اظن ان الله سيعفونا لأننا لم تكن
ندري .

فكما نعتقد حتى ينال عدو الاسلام
منا مثالا ، فنشب وثبا قبل ان نحدد
سبيلنا وندخل المعركة قبل ان نجتمع
جندنا ، ونسوي صفوفنا ، ونؤلف
بين قلوبنا ، فننهزم ننهزم لأن الله
جعل لكل شيء سبيبا ، فمن أخل
باستيفاء أسباب النصر ، لم منه
النصر ، وصحابة رسول الله صلى
الله عليه ورضي عنهم كانوا اكرم على
الله منا ، وهم مع ذلك قد هزموا في
(أحد) لما تركوا بعض أسباب النصر
التي قدرها الله له ، كما قدر الأسباب
كلها والمسيبات ، فخالف الرماة أمر
قائدهم ، وتركوا مواتهم ، انقطع
أن ينصرنا الله ، وقد قطعنا أسباب
النصر كلها ، ما اتصل منها بالأرض
وما ارتبط بالسما ؟

لقد فقدنا أرثنا من الحراسة
والنشاط ، وتسللت الي عروقنا
جراثيم الضمول والكسل ، فأثرنا
الراحة على العمل ، ولبيستنا حقيقة ؟
يوجعني الاعتراف بها ، ويشد على
صدري حتى أحس بالاختناق ولكنها
تبقى حقيقة .

حقيقة أعترف بها ، وذقني من
الفجل تضرب صدرى ، وبصرى من
الحياء الى الأرض ، هي ان أهل
الباطل لهم من ايمانهم بباطلهم ،
وحماستهم له ، ودفاعهم عنه ، وبذلهم
في سبيله المال والنفس ، أكثر مما لنا
(نحن أهل الحق) من الايمان بحقنا ،
والجهاد في سبيله ، وحمل الأذى في
الذود عنه .

انهم يمضون الى مجاهل الأرض ،
يسكتون الاكواخ كأنها قيسور ،
ويصبرون على معاشرة اصحابها ،
ليدموهم الى ما يؤمنون هم به ، ومنهم

المؤسف أن عيوبنا انتقلت إليهم ،
خلافاتنا ، تمسكتنا بالفروع قبل
الأصول ، تفرقتنا مَرْتَا ، فإيا ليست
أبنائى وبنائى من الشباب والشابات
يعتبرون بنا ، ويجتنبون نقائصنا
ومعانيها .

ان هذه المعايير جعلتنا يا أولادى
نصير الى الضياع .

كلمة حق أقولها لكم ، والحق يقال
ويسمع ، ولو كان مَرًّا . نحن
يا أولادى لم يبق فينا أمل ، نحن
الشيوخ (أئمن بالسن) ، نحن جيل
الضياع ، جيل الهزيمة ، نحن أضعنا
فلسطين ونحن سبعمئة مليون ،
فالأممات الآن فى أعناقكم انتم ، والحبل
على عواتقكم ، فلا تكونوا مثلنا .

لو أن سبعمئة مليون فارة ،
(والعفو من قبح المثال) هجبت على
لندن أو نيويورك لهرب منها أهل
نيويورك أو لندن ، فلماذا لا نضع
شيئا ؟ ما السبب ؟

لا أناقش ولا أتلفس بل أقدر
حقيقة ، لو أن ولدك مرض فأخذته الى
طبيب فاعطاه دواء زاده مرضنا ،
فأخذته الى آخر فاعطاه الدواء الذى
كان فيه الشفاء ، أمبعد هذه التجربة
مجال لمقال ؟

التجربة اصدق برهان ، ونحن
قد جربنا يوما ادخال الاسلام الى
المعركة فاستنقذنا به القدس من ايدى
جيوش اوربية كلها بعدما ملكوها
أكثر من تسعين سنة .

وجربنا إبعاد الاسلام عن المعركة
فأضعنا القدس بعدما كانت فى ايدينا
ومع ذلك نجد صعوبة بالغة فى إتهام
المسلمين — هذه الحقيقة الظاهرة —
أفليس هذا عجيبا ؟

...

قلت فى مطلع هذه المقالة انى بدأت
الكتب وأخطب من أكثر من خمس

من يقاتل فى سبيل معتقده الأرضى ،
أقوى ذول الأرض ، التى الهبت
بطياراتها بلده بالنار ، وأشاعت فى
أقطاره الدمار ، وهو ماض لاينثنى ..
ونحن ... نحن المؤمنين بأن
الجهاد أصل من أصول ديننا ، نحن
الذين نؤمن بأن شهيدنا حتى قسى
ضياقة ربنا ، نحن أبناء من مشوا على
أرجلهم ، من المدينة الى قلب فرنسا
من هنا ، وقلب الهند من هناك ،
ففتحوها كلها ، لا لياكلوا خيراتها ،
بل ليهدوا الى الحق أهلها ، ويحملوا
اليهم من هذا الخير الذى أنزله الله
من السماء ، على غار خراء ، نحن ..
ننتهى الى هذه النهاية ؟!

يحتل اليهود قبلتنا الأولى ،
ومصرى نبيتا ، وتتحدانا امرأة عجوز
ونحن سبعمئة مليون ، وامرأة أخرى
تمسك بخناق تسعين ألف أسير منا ،
تسمون ألفا كاساد الثرى ... يا
أسفى !

ما أشد السقطة على رفيع القدر ،
عالى المقام !
ولكن هذا ذنبنا . نحن الذين إبعدنا
الاسلام عن معركتنا ، فأبعدنا بذلك
النصر عنا .

اتنا ما هزينا لنقص العدد فنحن
سبعمئة مليون ، ولا لنقص المال فمعد
المسلمين من الأموال أكثر مما عند
اليهود ، ولا لقلبة السلاح فعند
المسلمين من السلاح أكثر مما عند
اليهود ، ولا لقلبة العلماء فعند
المسلمين من العلماء (بعلوم الكون)
أكثر مما عند اليهود ولكن لقلبة الدين .
لقد أضعنا بذلك وأضعنا الشباب
على أن فى الشباب بحمد الله —
فى الشباب والشابات فى الشام
ومصر والأردن وغيرها رجعة قوية
الى الاسلام ، رجعة من الله ليست
بعملنا ولا بجهودنا ، رجعة وان تكن
فى نطاق ضيق ، وفى عدد قليل ،
لكنها قوية راسخة ، وان كان من

قليلًا . هل تسمعون في الفرصة صوتًا ؟

إن جو الغرفة التي (ترونها) ساكنة كل الأصوات التي تخرج الآن من أذاعت الأرض كلها انكم لا تسمعونها ، ولكن هاتوا رادًا (راديو) فإنه يردّ هذه الأصوات عليكم فتسمعونها ، فإن كان الراد بلا ذخيرة (بطارية) لم ينفذكم ، وإن وجد — وكذلك الموعظ ، الموعظ موجودة ولكنها تحتاج إلى قلوب ، والقلوب لا تفيد أن كانت تحتاج إلى بطاريات فلستحضروا قلوبكم وضموها لها بطاريات ، تستفيدوا من كل ما تقرأون وما تسمعون ولو كانت الموعظة من مقصّر مثلي .

ها هنا السر ، وهذا هو السبب في الفشل الذي انتهت إليه دعوتنا خلال هذا الأمد الطويل .

ليس النقص في المواعظ وفي الواعظين ، وإن لم تبلغ ولم تبلغوا حدّ الكمال ولكن النقص في القلوب الواعية .

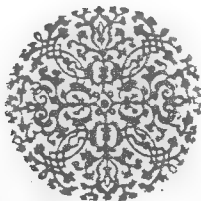
اللهم يا من قلوب العباد في يديه .
أحي قلوب المسلمين ، وليتها وأرزقها الانتفاع بالموعظة ، اللهم آمين .

وأربعين سنة ، عما الذي أثمرته هذه الكتابات وهذه الخطب ، وما كتب الكتاب الإسلاميون قبلي كالسيد رشيد رضا ، والأمير شكيب أرسلان ، وخالي محب الدين الخطيب ، والأساتذة فريد وجدي وعبد العزيز شاولي والفبراوي وغيرهم ، ومن جاء معي أو بعدى من لا يحصيهم عدد — ولا يجهلهم أحد — فماذا كان حصاد هذا الجهد كله ؟

لقد شهدنا في هذه السنين الخمسين عرى الإسلام تنقض عروة عروة ، وصرح الإسلام يهدم حجرا حجرا ، وأهل الخير والحق كل يوم إلى ضعف وقلة ، وأهل الشر والباطل كل يوم إلى قوة وكثرة .

وكنيت أبحت عن السبب ، وذكّرت ما خطر على بالي من الأسباب ، وفي كلها قدرت النقص فينا ، والذنب علينا ، نحن الدعاة ، أو الكتاب والخطباء الإسلاميين ، فلم لا يكون النقص فيكم أنتم أيها القراء ، والذنب عليكم ؟ أو فينا وفيكم معا ؟ ونكون مسؤولين جميعا ؟

أضرب لكم مثلا ، اسكتوا كلكم



نظرة فاحصة حول

الإباحة

عند الأصوليين والفقهاء ٢

د . محمد سلام مذكور

أساليب الإباحة والصلة بينها وبين كل من الحل والصحة والجواز

تكلّمنا في مقال سابق عن الإباحة وموقف الأصوليين والفقهاء منها ، وبيننا أن الإذن الذي يفيد الإباحة قد يكون مصدره الشرع وقد يكون مصدره العباد ، وقلنا إن إقن الشارع لا يسقط حق العباد ، وأن إقن العباد لا يسقط حق الله وذلك لأن حق الله ليس مجالا لإقن العبد ولا ترخيصه ، كما أن كل تصرف لا بد أن يكون في حدود ما أباح الشارع وأذن به .

ويعني هنا أن نبين أساليب الإباحة :

والمراد بأساليب الإباحة ما يدل عليها وتستفاد هي منه سواء أكان ذلك بدلالة لفظية حقيقية كانت أو مجازية أم كان ذلك بقرينة من القرائن العقلية . فأساليب الإباحة متنوعة ، وهذا التنوع في جملة مظهر من مظاهر ثروة اللغة العربية وقوة التعبير فيها والدلالة على أنها جدرة أن تكون مجالا لاجتهاد المجتهدين وتنافسهم في فهم النصوص الشرعية ولأسيما فيما يدل على الإباحة دلالة مجازية أو كنائية أو عقلية .

وينبغي أن نشير إلى أن الإباحة التي مصدرها العباد لا تحتاج دائما إلى عبارة تدل عليها إذ قد تكون بعبارة تدل عليها كدعوة الضيف إلى النزول بمنزلك وتناول الطعام عنده ، كما تكون بما يفيد عرفا تلك الإباحة من الأعمال كوضع الأباريق ونصب السبل للشرب ، ووضع الجفان أو الأواني للأكل للعامة ابتهاجا ببلوغ مقصد أو وفاء بنذر أو كحرارة وهذا النوع هو الكثير الأغلب في الإباحة من العباد بعضهم لبعض .

أما بالنسبة للإباحة التي مصدرها الشرع ، فأتينا بتتبع ألفاظ القرآن وهو المصدر الأول للتشريع لم نجد كلمة الإباحة ولا شيئاً مما تصرف منها بفعل أو مشتق ، وإنما يوجد في أساليب القرآن كما يوجد في السنة النبوية ما يدل عليها دلالة صريحة تارة . فلا يحتاج اللفظ الى قرينة يعتمد عليها في إمداد الإباحة ، وما يدل عليها دلالة غير صريحة فيحتاج اللفظ للدلالة عليها الى قرينة تبين انها مرادة من اللفظ .

أولا - الأساليب الصريحة :

١ - نفى الحرج ومن ذلك قول الله تعالى (١) : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم .. » فقد دلت الآية دلالة صريحة على إباحة الأكل من بيت الإنسان وبيت أبيه وبيت أمه لأن ذلك هو المعنى العرفي الذي يتبادر الى الذهن عند سماع نفى الحرج .

ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه أن رسول الله وقف في حجة الوداع للناس في منى يسألونه ، فجاءه رجل فقال : لم أشعر فحطت قبل أن أذبح .. ؟ فقال الرسول عليه السلام : إذبح ولا حرج . وجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي .. ؟ فقال له النبي : ارم ولا حرج . فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال : افعل ولا حرج . وهذا يفيد أن المشرع رفع الحرج عن كل من ترك الترتيب ناسيا . فصار ترك الترتيب بين الشمامسة بالنسبة له مباحا .

٢ - نفى الجحاح : ومن ذلك قوله تعالى (٢) : « فإن أرادوا فصلا عن تراش منها وتساور فلا جناح عليهما » فإن الأسلوب يدل صراحة على إباحة طعام الصبي قبل تمام الحولين ، لأن نفى الجناح كفى الحرج في أنه يتبادر من كل منهما الى الذهن معنى الإباحة .

٣ - نفى كل من الإثم والمأخذة والحنث والسبيل : كما في قوله تعالى : « اذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » (٣) فالآية صريحة في معنى الإباحة باعتبار الأصل لأنها رفعت الإثم عن الفعل وضده معا ، وخيرته بين التعميل والتأخير برفع العقاب عن كل منهما .

ومن نفى المؤاخذه قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » (٤) فإن رفع المؤاخذه في الآية صريح في إمداد رفع الإثم وعدم العقاب على الفعل الذي هو اللغو في اليمين ، وظاهر أنه لا ثواب على الفعل . ولا معنى للإباحة إلا هذا .

ومن نفى الحنث الدال على الإباحة ما روي من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال (٥) : عندما تراهي قوم يحضرته بالنبال . فحلف أحدهم أنه أصاب الهدف وأن صاحبه أخطأ . فإذا الأمر بخلاف ذلك . فقال الآخر حنثت يا رسول الله . فقال عليه السلام : أيمان الرماة لغو لا حنث فيها ولا كفارة .

ومن نفى السبيل الدال على الإباحة دلالة صريحة فيما نرى قول الله سبحانه وتعالى : « ولن أنتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » يقول الإمام الرازي في تفسيره (٦) : ما عليهم من سبيل كمقوبة ومؤاخذه لأنهم أتوا بما أبيع لهم من الانتصار .

٤ - ومن أساليب الإباحة الصريحة نفى البأس . وهي مما ورد استعماله في السنة في عدة مواضع فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده من قوله عليه السلام : « لا بأس بالحيوان واحدا باثنين يدا بيد » فإنه يدل على إباحة بيع الحيوان مع التفاضل إذا لم يكن هناك أجل . ومن ذلك قوله عليه السلام فيها رواه الحكم عن وأثلة بن الأسقع : « لا بأس بالحديث قدمت أو أخرت إذا أصبت بمعناه » فإنه يفيد إباحة رواية الحديث مع التقديم والتأخير فيه ما دام ذلك لا يؤثر في المعنى . وهذا هو مذهب الجمهور في صحة رواية الحديث بالمعنى وهو الحق تحقيقا لليسر ودفعاً للحرص وعملاً بظواهر النصوص كهذا الحديث وغيره . كما جاء في كتاب (جمع الجوامع وشرحه) .
والفقهاء يستعملون كلمة لا بأس بمعنى الإباحة في كتب الفقه ومن ذلك قول صاحب الاختيار (٧) : « ولا بأس بتوسد الحرير واغتاشه ، ولا بأس بلبس ما سداه ابريسم ولحمته قطن أو خز » .

٥ - ومن أساليب الإباحة الصريحة كلمة (رفع القلم) جاء فيها أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم عن السيدة عائشة رضي الله عنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر » فإنه يدل على إباحة ما يصدر عن هؤلاء من الأفعال لأنه لا إثم في الفعل كما لا إثم في الترك وذلك هو معنى الإباحة .

ومن ذلك كلمة رفع الخطأ . روى الطبراني بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » والمقصود إنما هو رفع إثم الخطأ لا نفس الخطأ ورفع الإثم يفيد إباحة الفعل المصادر في هذه الظروف . وهذا القدر كاف في تحقيق الإباحة لأن المباح ما لا إثم في فعله ولا تركه .

وكذلك كل ما يدل على التخفيف في الأساليب العربية من غير حاجة إلى قرينة مثل إن شئت ، لك أن تفعل . ونحو ذلك .

ثانياً - الأساليب الدالة على الإباحة دلالة غير صريحة :

وهذه قسمان فيما نرى : ملفوظة ، وغير ملفوظة وسنعرض كل واحد منها :

١ () الألفاظ التي تستفاد منها الإباحة بقرينة :

١ - صيغة الأمر : نقل الأمدى (٨) عن بعض الأصوليين أن صيغة الأمر وضعت حقيقة لإفادة الإباحة ، وأنها تفيد غيرها بطريق المجاز وتحتاج في إفادة غير الإباحة إلى قرينة . وهو رأي يبدو غريباً إذ الواقع أن دلالة صيغة الأمر على الإباحة دلالة مجازية تحتاج إلى قرينة . على أننا انتهينا في كتابنا « الأمر في نصوص التشريع الإسلامي ودلالته على الأحكام » (٩) إلى أن صيغة الأمر إنما وضعت في أصل اللغة لمجرد الطلب ولا بد من القرينة لإفادة ما عدا ذلك . ودلالة صيغة الأمر على الإباحة تعتبر مجازية عند من يقول : إن الأمر وضع في أصل اللغة لإفادة النذب وهو أبو هاشم الجبائي والمعتزلة ، وكذلك على رأي الماتريدي وأتباعه الذين يقولون إن صيغة الأمر موضوعة في الأصل للقدر المشترك بين الوجوب والنذب وهو مجرد الطلب ، وكذلك بالنسبة للقائلين بأنها مشتركة بين كل من الوجوب والنذب أي موضوعة لكل على حدة . فإنها تكون مجازاً في استعمالها للإباحة وتحتاج إلى قرينة لإفادتها .

وحتى عند القائلين بأن صيغة الأمر مشتركة فى إفادة الوجوب والندب والإباحة حقيقة ، والقائلين بأنها مشتركة فى إفادة ذلك وفى إفادة التهديد أيضا فإن استعمالها فى الإباحة وإن كان حقيقيا عندهم إلا أنه يحتاج الى قرينة باعتبارها مشتركا . فيكون لا بد من القرينة فى استعمال الأمر للإباحة سواء قلنا إنه مجاز أو مشترك (١٠) .

ومن استعمالات الأمر فى الإباحة بالقرينة مجيئه بعد حظر سابق مثل قوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا » (١١) وذلك بعد قوله « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ومثل قوله تعالى « ناذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا » بعد قوله : « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » .

٢ - مفاد النهى بعد الوجوب ، ومفاد نسخ الوجوب : قال السبكي والمحلى فى جمع الجوامع وشرحه : إن النهى بعد الوجوب للتحريم عند الجمهور وقيل للكرهه وقيل للإباحة نظرا الى أن النهى عن الشيء بعد وجوبه يرفع طلبه فيثبت التخيير فيه .

وجاء فى تقرير الشريفي على جمع الجوامع : إن الوجوب لشيء إذا نسخ بقى الجواز بمعنى عدم الحرج فى الفعل والترك . وقيل تبقى الإباحة فقط كما قالوا بالنسبة لنسخ الوجوب فى آية « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » .

٣ - ومن الأساليب غير الصريحة أيضا التعبير بالحل فائه فيما نرى يفيد الإباحة إفادة غير صريحة فإن معناه الصريح ما قابل الحرام وهو يشمل المباح والواجب والمندوب والمكروه فيصلح للاستعمال فى واحد منها بقرينة فقول الله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات » (١٢) فإنها تدل على إباحة أكل المستلزمات التى لم يرد ما يحررها .

٤ - ومن الأساليب غير الصريحة نفى التحريم أو النهى عنه . ومن نفى التحريم قول الله تعالى : « قل من حرم زينة الله » (١٣) فإن هذا وإن كان استنفاسا صورة ولفظا فهو نفى حقيقة ومعنى . ومن النهى عن التحريم قوله تعالى : « لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » (١٤) فإن الآية نزلت فى الرد على الذين كانوا يتعمقون فى العبادة ويبالغون فى ترك الطيبات .

٥ - ومن أساليب الإباحة غير الصريحة الاستثناء من التحريم الصريح أو الضمنى فمن الأول قول الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » (١٥) ومن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان « لا يحل دم امرئ إلا بلحذى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وقد يكون الاستثناء ضمنيا من التحريم الصريح ويفيد الإباحة كما فى قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم .. فمن اضطر فى مخضرة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم » (١٦) فقد صرح القرطبي (١٧) باعتبار هذا الأسلوب إباحة .

ب (ما يدل على الإباحة من غير لفظه :

فإن ذلك يكون من الأمور الفعلية فيشمل السنة الفعلية فى بعض أنواعها والسنة التقريرية . فما كان من الأعمال الجيلية كالقيام والقعود والأكل والشرب ونحوه فلا نزاع فى كونه على الإباحة بالنسبة للنبي ولأئمة ، وما كان من أفعال

النبي غير المختصة به مما لم يقع بيانا وظاهر فيه معنى القرية يكون من قبيل الإباحة عند الملكية لأنه لا يجوز أن يكون صادرا منه على وجه يقتضي الإثم لعصمته صلى الله عليه وسلم فثبت أنه لا بد أن يكون مباحا أو مندوبا أو واجبا وهذه الأقسام مشتركة في رفع الحرج عن الفعل . فأما رجحان الفعل فلم يثبت على وجوده دليل مثبت بهذا أنه لا حرج في فعله كما أنه لا رجحان في فعله فكان مباحا(١٨) .

أما ما لم يظهر فيه وجه قرينة فقد نقل كل من الشوكاني والدبوس في خلافا وأن الرازي قال : الصحيح أنه مباح واختار ذلك الجويني في البرهان وهو الراجح عند الحنابلة .

وأما السنة التقريرية . فإن ما سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قد سبق منه النهي عنه ولا عرف تحريمه فإن سكوتة عنه يدل على إباحته ورفع الحرج عن فاعله إذ لو لم يكن جائزا لكان تقريره لفاعله على فعله حراما من النبي ومن هذا ما روى عن جابر رضي الله عنه من حديث العزل « كنا نزل في عهد رسول الله والقرآن ينزل فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا » فإن الفقهاء أخذوا من عدم نهى النبي صلى الله عليه وسلم دليلا على إباحة العزل لمنع الحمل .

هذا بالنسبة لأساليب الإباحة ، أما الصلة بين لفظ الإباحة والتخيير : فقد سبق أن قلنا في المقال السابق إن الإباحة عند الأصوليين تخيير من الشارع بين الفعل والترك مع استواء طرفي الفعل والترك فلا ثواب ولا عقاب على فعل واحد منهما ، أما التخيير فإنه تارة يكون تخييرا على سبيل الإباحة بين فعل المباح وتركه وكل من الفعل والترك يتصف بالإباحة ، وتارة يكون بين بعض الواجبات وبعضها إلا أنها لا تكون واجبات على سبيل التعيين ، وهذا هو الواجب المخير كما في خصال كفارة اليمين في قوله تعالى : « فكفارتهم إطماس عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة »(١٩) فإن فعل أي واحد منها يستقط المطالبة ، كما أن ترك كل واحد منها يقتضي الإثم .

وتارة يقع التخيير بين بعض المطلوبات على سبيل التذب كما في التنفل قبل صلاة العصر فإن المكلف مخير بين أن يصلي ركعتين أو يصلي أربعاً . على أن المندوب في ذاته في مرتبة من التخيير وإن كانت دون التخيير في المباح إلا أنها لا تخرج عن أنها تخيير ضرورة أنها لا ضرر في ترك المندوب وإن كان يشاب على فعله بينها التخيير في المباح لا ثواب فيه ولا عقاب ومن ذلك التخيير في الأضحية بين الإبل والبقر والغنم إذا أثر الأضحية على الصدقة على أن هناك ناحية تخيير بين الصدقة والأضحية(٢٠) . فالتخيير أعم من الإباحة . إذ قد يكون التخيير بين المباحات كما يكون بين الواجبات بعضها مع بعض وكذلك يكون بين المندوبات . وأما الصلة بين الإباحة والحل . فقد عرفنا أن الإباحة بمعنى التخيير من الشارع بين الفعل والترك . أما الحل فإنه في لسان الشرع وفي اصطلاح الفقهاء أعم من ذلك لأنه يطلق دائما على ما يقابل الحرام . فالحلال هو ما ليس ممنوعا منعا باتا يدل على ذلك وروده في الكتاب والسنة مقابلا للحرام الذي هو خطاب الشارع بالكف عن الشيء على سبيل الجزم . وإذا كان الحل مقابلا للحرام وجب أن يشمل كل ما عداه فيدخل فيه المباح والمندوب والواجب بل والمكروه ولذا صرح الفقهاء في مناسبات مختلفة بالحل مع الكراهة وفي هذا يقول العزيزي عند قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »(٢١) أن الحلال هو الجائز الفعل والمراد غير الحرام فيشمل

المكروه . ومع هذا فمن الفقهاء من لم يعتبر الحلال شاملا للمكروه وقصر الحلال على ما يشمل الواجب والمندوب والمباح . واقررد للمكروه قسما يقابل كلا من الحلال والحرام ، ومنهم من جعله داخلا فى قسم الحرام على ما بيناه تفصيلا فى كتابنا (الاباحة عند الأصوليين والفقهاء) .

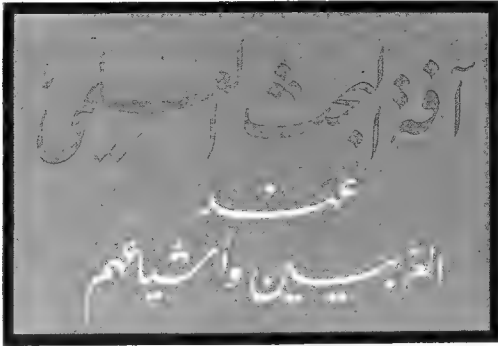
وأما الصلة بين لفظ الاباحة ولفظ الجواز . فاننا نجد الامام الغزالى يصرح بأن الجواز مرادف للاباحة . بينما يرى غيره أن الجائز أعم من المباح فالجائز ما سوى الحرام والمكروه وبذا يكون شاملا لكل من الواجب والمندوب والمباح ويكون على هذا مرادفا للفظ حلال بالاطلاق المشهور .

فالجائز يستعمل بمعنى المباح على ما هو مسلك الغزالى وبمعنى الحلال وهو المتداول كثيرا فى عبارات الفقهاء وبالنظر يبين أن لكلمة الجواز استعمالا ثالثا يجعلها مرادفة لكلمة صحة ومن هذا قولهم فى باب الطهارة « المياه التى يجوز التطهير بها سبعة مياه .. والمياه التى لا يجوز التطهير بها .. » .

وأما الصلة بين الاباحة والصحة .. فالواقع أن حقيقة الاباحة وماهيتها تبين حقيقة الصحة وماهيتها .. فان الاباحة كما هى التخيير بين الفعل والترك .. وأما الصحة فانها موافقة الفعل ذى الوجهين الشرع . والتخيير وصف من أوصاف الشارع . أما الصحة فهى وصف للفعل الذى يقع من المكلف . ولهذا يقال : إن الاباحة من الاحكام التكليفية ، أما الصحة فبعض الأصوليين يعتبرها حكما عقليا . والجمهور منهم يعتبرونها من الاحكام الشرعية الوضعية باعتبار أنها تعرف من جهة الشرع (٢٢) .

والى اللقاء فى المقال التالى حيث نتكلم عن أسباب الاباحة .

- (١) سورة النور الآية ٦١ .
- (٢) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .
- (٣) سورة البقرة آية ٢٠٣ والقصود تعجيل التكبير فى ايام التشريق بالحج .
- (٤) سورة البقرة آية ٢٢٥ .
- (٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣ ص ١٠٠ .
- (٦) التفسير الكبير ٢٧ ص ١٨١ .
- (٧) الاختيار شرح المختار ٣ ص ٢٢٢ .
- (٨) الاحكام فى أصول الاحكام ٢ ص ٢٠٨ .
- (٩) ص ٢٤٥/٢٣٧ والكتاب مطبوع سنة ١٩٦٧ بالقاهرة .
- (١٠) راجع ابن الحاجب ١ ص ٢٢٨ وإرشاد الفحول ص ٨٨ .
- (١١) سورة المائدة آية ٢ .
- (١٢) سورة المائدة آية ٥ .
- (١٣) سورة الاعراف آية ٣٢ .
- (١٤) سورة المائدة آية ١٧ .
- (١٥) سورة الانعام آية ١١٩ .
- (١٦) سورة المائدة آية ٣ .
- (١٧) الجامع لأحكام القرآن ٢ ص ٢١٦ .
- (١٨) انظر إرشاد الفحول للشوكاتى ص ٣٤ .
- (١٩) سورة المائدة الآية ٨٩ .
- (٢٠) راجع المغنى لابن قدامة الضنبلى ٨ ص ٨١٨/٨١٦ .
- (٢١) فى كتابه السراج فى تفسير الجامع الصغير ١ ص ١٩ .
- (٢٢) وقد بينا تفصيل ذلك فى كتابنا مباحث الحكم عند الأصوليين .



للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي

والمقارنة والبحث ، فان هذه الطاقة قد لا تغنيه في الوصول الى الحق اي غناء ، لأن مادة البحث نفسها لم تتكامل تحت نظره وبين يدي فكره . واذا كانت هذه القاعدة من اهم منطلقات علماء الشريعة الإسلامية بصدد دخولهم في أي بحث علمي ، فإنها لاعتبر جانباً مهماً ، بل مجهولاً ، لدى أكثر الباحثين من علماء الغرب بصدد البحث في أي حقيقة علمية مما لا يخضع لبرهان التجريبية والملاحظة ، كشؤون التاريخ والتاريخ الطبيعي وقضايا النفس وأكثر مسائل العقيدة وما قد يتبعها .
فمهما توفر في أبحاثهم — بعد ذلك — من مقومات الدقة في الدرس ومظاهر المنهجية أو الموضوعية في البحث ، فإن شيئاً منه قد لا يغنيهم عن

«السبر والتقسيم» قاعدة يعتمد عليها علماء أصول الشريعة الإسلامية ، لدى استنباط علل الأحكام والتأكد من صحتها .
وهي تعني استثارة جميع الاحتمالات ، وعرضها في تصنيف وتقسيم شاملين أمام الفكر ثم دراستها واحدة إثر أخرى ، للكشف عن العلة التي لا بد أن تكون كاملة في واحدة منها .
والقيمة العلمية في هذه القاعدة ، هي استقصاء الاحتمالات كلها ، واتخاذ ذلك أساساً للمقارنة والبحث فان أكثر ما قد يكون سبباً لزلّة الباحث العالم ، في دراسة بحث ما ، إنما هو عدم انطلاقه من نظرية شاملة مستقصية للاحتتمالات الواردة ومهما أوتي بعد ذلك طاقة في التأمل

كشف الحقيقة شيئا ، لما أوضحا من أن ضرورة تجميع المادة العلمية وحصر الاحتمالات الواردة بشأنها ، ينبغي أن تكون الخطوة الأولى في السير إلى أي دراسة أو بحث .

السر في ذلك

ومن المعروف أن استقصاء الاحتمالات كلها ، ووضعها جميعا تحت مجهر واحد من النظر والفحص ، هو المقصود بالموضوعية التي هي الأساس الأول لسلامة البحث العلمي ، وضمان الوصول إلى نتائج سليمة صادقة من ورائه .

ومن المعروف أن « موضوعية البحث » من أكثر الكلمات التي يحتفل بها الغربيون في أبحاثهم ، ومن ثم فهي منسوبة إليهم وملتصقة بهم أكثر من أن تنسب إلى أي فئة أخرى . فلماذا لا تتبوا هذه القاعدة عندهم مكانها اللائق ، وفيهم تكون مهمة بل مجهولة عندهم ؟! .. وما السر في هذا التناقض البين ، بين المباهاة بالموضوعية من جانب وأهمال أهم مقومات هذه الموضوعية من جانب آخر ؟! ..

والجواب ، أن موضوعية البحث قد تبدو حقيقة ثابتة في تلك الدراسات العلمية الأخرى المتعلقة بظواهر الطبيعة مما يخضع لبرهان التجربة والحس . وهي دراسات أبدع الفكر الغربي لها ، بحق لا مزية فيه ، منهاج من البحث الموضوعي الذي لا يشويه أي خلل أو نقص .

أما تلك الدراسات الأخرى ، التي المأنا إلى أصناف منها ، فقد تخلفت الموضوعية عنها تخلفا كبيرا وخطيرا ،

مما جعلها تصبح فريسة للرغبة والبواعث النفسية أكثر من أن تكون موضوع بحث علمي مجرد .

أكثر هذه الدراسات تنطلق عندهم من رغبة سابقة في الوصول إلى نتائج معينة ، ولا تبدأ من نقطة الدراسة العامة للاحتتمالات المطلقة .

ومن شأن الرغبة السابقة التي تتطلع إلى نتيجة بخصوصها ، أو التي تتجافى عن نتيجة بخصوصها ، أن تفرض على صاحبها أمانة بمض الاحتمالات سلفا ، وبالتالي فهي تفرض عليه طيها عن النظر والبحث مطلقا .

وقد يكون العامل في إماتة بعض الاحتمالات ، أو أهمال النظر فيها ، جهلا بما قد يكون لهذا الاحتمال من أهمية أو قيمة ، ولكنه يكون ، في أغلب الأحيان ، باعنا نفسيا يتمثل في عصبية أو تقليد أو سلطان عرف أو بيئة ..

وليس بمعجيب ولا مستهجن أن يتسلل باعث نفسى من هذا القنيل إلى مجال البحث والعلم خفية عن صاحبه . ودون أن يتنبه إلى تدخله في التأثير والحكم . ذلك لأن من شأن النفس أن تخادع العقل وتغافله بين حين وآخر ، فتلبس الأمر عليه وتخلط أماله الموازين بأشبهائها ، ولكن المعجيب والمستهجن حقا ، أن يتنبه الباحث من نفسه إلى هذه الظاهرة فيقرأها ، ثم يتخذ منها منهاجا لاكتشاف الحقائق وسبيل الاعتقاد بها ! ..

المعجيب أن تظهر في الغرب مدرسة تعلم الباحث لدى استقراء الاحتمالات المتعلقة بشرح حقيقة ما أن يستبعد منها سلفا ما لا يرغب فيه ،

مظهرها للحيرة فى شأنها أكثر من أن تكون اقتراباً إليها لحل مضبوئها ! .. وطبيعى أن تتناسخ النظريات ، بسبب ذلك فى شأنها ، فى تطوائف دائب ضمن حلقة مفرغة لا نهاية لها .

والنقاش فيها كلام فارغ

والذين يغيب عن بالهم هذا الواقع الخطير الذى نتحدث عنه ، يتوهمون أن النقاش فى مثل هذه النظريات والآراء القائمة على هذا المنهج ، قد يعود بأصحابها إلى سبيل الرشء والمنطق السليم ، فيبدؤون حياة ، بل عصراً ، من المناقشة والجدال اللذين لانهاية لهما ولا ثرة من ورائهما .

وشىء طبيعى أن يظل الأمر كذلك لأن منطلق كل من الطرفين يختلف اختلافاً جفرياً عن الآخر . فلا طبع للفروع التى تنبثق عن كل منهما إلا أن تسير فى خطين متباعدين عن بعضهما قدر اعتماد المنطقين على أقل تقدير .

وهكذا ، فإن الخوض فى مناقشة من يحلل لك الفتح الإسلامى مثلاً على أنه انتصار يسار على يمين ، أو تبرء على عوالم الائتلاق الاقتصادى فى الجزيرة العربية ، أو ثورة السيادة العربية على العنصر الأعجمى — خوض فيها لا طائل فيه من الكلام وانحصار ضمن دائرة مغلقة من الحديث . فلك لأن صاحب هذا التحليل أمات منذ أول بحثه احتمال نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وصنقه فيها جاء يخبر عن ربه ، وطواء عن أى التفات إليه أو نظر فيه ، نمشى بذلك فى طريق مسدود ، ليجد أمامه أحد احتمالات ثلاثة لا رابع لها ،

والا يبقى منها تحت مجهر البحث والنظر إلا ما يتفق مع رغباته وينسجم مع أمانيه المتعلقة بتفسير تلك الحقيقة . فهو تعلمه مثلاً يصدد البحث فى الأديان واكتشاف الدين الحق منها أن يستعرض الاحتمالات المتمثلة فى المسيحية أو اللادرية أو الإسلام ، فيسقط الإسلام منها سلفاً ، لأنه احتمال غير مرغوب فيه ، فهو محكوم عليه اذا بالموت ! .. ثم يحصر بحثه فى الاحتمالين الباقيين والمقارنة بينهما (١) .

تحول الحقائق الواضحة إلى الفئز مغلقة

ولا ريب أن تفسير منهج البحث فى حقيقة الشىء تحت سلطان الرغبة قد يورث النفس رضى وبهجة ويشعرها بتحقيق بعض أمانها ، ولو فى نطاق الوهم والخيال ، وقد تكون من ورائه فائدة أهم فيها يبدو ، كحفظ ذاتية الأمة من أن تذوب فى كيانات أخرى . وكتوفير قوالب فكرية — ولو لم يكن لها مصداق فى الخارج — تحافظ على شخصيتها من أن تبيع ثم تتعرض للتجسد فى قوالب أخرى . غير أن هذا السبيل ، بالإضافة إلى كونه لا يحقق إلا فوائد وهمية ، من شأنه أن يضفى بقيم جوهرية ذات تأثير بالغ وخطير فى حياة الإنسان . نحسبه أنه يسدل فوق الحقائق الواضحة حجاباً ، ويبعد المسافة بينها وبين كل محاولة ليزيد من العلم بها ، ويحيلها إلى الفئز وأحاجى غامضة بدون أى موجب أو سبب حقيقى مفيد ، فتغدو بذلك جميع النظريات المطروحة فى تفسيرها

وتسمى افتثاتا وظلها سبل الدراية
والبحث ! ..

من هذه القضايا تلك النظريات
المضطربة المتناقضة عن قصة النشأة
الإنسانية وتطورها غلثما هي « بدءا
من آراء لامارك الى الداروينية القديمة
الى ما تطورت اليه من الداروينية
الحديثة » انعكاسات حيرة فى تفسير
تاريخ النشأة الإنسانية واكتشاف
أسرارها ! .. وما كان لهذا البحث
أن يزج أصحابه فى أى حيرة لو أنهم
استعرضوا منذ أول الطريق
الاحتمالات الواردة كلها ، دون أن
يتنبؤوا أى واحد منها سلفا ! .. إذا
لوجدوا قصة هذه النشأة مدونة من
قبل خالق الإنسان ومبدعه جل جلاله ،
وإذا لاستراحوا وأراحوا ، ولأخضعوا
الفكر والعقل لقول هذا المبدع جل
جلاله : (ما أشهدتهم خلق السموات
والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت
متخذ المضلين عضدا) .

ولكنهم لما نبؤوا من احتمالات الأمر
ما لا رغبة لهم فيه ، فلم يقفوا عنده
بأى تأمل أو نظر ، كان لا بد لهم أن
يحصروا أنفسهم فى الحلقة التى
انطبقت عليهم ، أو فى نهاية الطريق
الذى سدوه على أنفسهم ، ووجدوا
أنفسهم يقولون : لا بد أن الإنسان
تطور من كائن بسيط تحت سلطان
القانون الطبيعى الذى يعطى أولوية
البقاء للأصلح ويقضى على كل متخلف
فى دروب الضعف أو الفساد ! .

قيل لهم : ولكن من الذى وضع
مقياس الأصلح ؟ .. واين هذا
القانون من الطبيعىة التى تجفف
مستنقعات شائعة أو تحسر مياهها
غامرة منتطفيء على أعقاب ذلك
حياة ملايين من الأرواح كان من الممكن

ثم ليجد نفسه مضطرا إلى اختيار
واحد منها . إذ مهما كانت هذه
الاحتمالات بعيدة عن المنطق والبرهان
التاريخى ، فلا مندوحة له عن أن
يغض العين ويقبل أى واحد منها
إذا كان حريصا ألا يعود من بحثه
خالى الوفاض ! ..

المنطق الوهمى ! ..

ومهما كان خطأ مثل هذا المنهج
بيننا ، فإن صاحبه منطقي مع نفسه
بالنظر لاحتصاره ضمن ما فى هذا
الطريق المسدود . لقد رأى أمامه هذه
التفسيرات الثلاثة ولم ير غيرها ، إذا
لا بد أن الحقيقة مخبوءة داخل
واحد منها .

وهذا هو المنطق الوهمى الذى
أحال كثيرا من الفنون بل الأوهام
المجردة الى أحكام علمية ومسلّمات
قطعية ! .. إذ كان المصباح الذى
من شأنه أن يكشف عن زينها وبطلانها
قد أبعد عن ساحة البحث كلها ، فغدت
الساحة دينالذا الأوهام وحدها .

انه على كل حال منطق ، وإن كان
وهيبا . وربما لبست الأوهام للعقول
ثوب الحقيقة فأتخذت بها ، فكان
لها من ذلك بعض العذر ! .

من صور هذا المنطق الوهمى

وما أكثر القضايا والأبحاث العلمية
التي ذهبت فيها الحقائق ضحية هذا
المنطق الوهمى ، فمتحت عنها معالم
الحق ، وانحسرت من حولها مسالك
البحث ، وسدّت اليها منافذ النظر
الحر ، حتى غدت الفأزا مغلقة تحوم
من حولها صور الحيرة والاضطراب

صادق مع نفسه عندما يقول وهو في محبسه ذلك : هذا كل ما أراه أمامي فهل للعقل من سبيل إلا أن يتخير أقرب الحلول ؟ .. ولكنه جهل عظيم وخداخ خطير أمام مقياس الإطلاق في دنيا الحقيقة كلها ، بكافة احتمالاتها الواردة ، دون تحكيم للرغبة ولا للبيئة ولا للتقاليد ولا لسلطان المنفعة .

وصورة أخرى

واليك صورة أخرى لهذا المنطق .. ذلك الموضوع الذي تظل طائفة كبرى من الباحثين في حيرة مستمرة من أمره ألا وهو التحقيق في هوية الشريعة الإسلامية .

لقد ظلت هذه الطائفة أمر الشريعة الإسلامية على كل وجه يمكن أن يعطي دلالة على حقيقتها وأصلها ، إلا وجهاً واحداً لم تشأ أن تجعله موضوع بحث مطلقاً ، وذلك هو وجه كونها وحياً من الله تعالى بواسطة جبريل إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

وهكذا ، فقد تكونت حول هذه الطائفة من الأوجه والاحتمالات الباقية حلقة مفرغة مغلقة ، وكان لا بد لها أن تنبش عن الحقيقة التي تعود إليها هوية هذا التشريع ضمن هذه الحلقة فقط .

فما هي تلك الاحتمالات الباقية ؟ .. إنها احتمال أن تكون الشريعة الإسلامية طبيعة جديدة معدلة عن التشريعات اليهودية ، واحتتمل أن تكون مقتبسة من التشريع الروماني بمعامل احتكاك الجزيرة العربية بما

أن تواصل سيرها في نجاح الحياة مستظلة بحماية القوة والصلاح ؟ . بل أين هذا القانون من الدنيا العريضة التي يزدهم فيها جميع أشكال الموجودات بدءاً من أصغر جزئيات الفاسد والضعيف إلى أرقى نماذج الاتوى والأصلح دون أن ينسخ الصالح منها الفاسد عن الوجود ؟ .. قالوا : فلنقرر إذا أنه تطور عشوائية وطفرة وليس تطور سمو وصلاح ! .. قيل لهم فهلاً شددت الطفرة الإنسان ذات مرة إلى الخلف بدلاً من أن تنهض به دائماً إلى الأعلى ؟ .. وهلا تجاوزت مرة واحدة خط النظام الدقيق الذي يسير وفق خط مرسوم إلى تحقيق علة غائية وقد علم جميع العقلاء أن « العلة الغائية » تمثل أعقد عمليات التنظيم والتدبير ؟ .. وما لهذه الطفرة المعجبية في تدبيرها أبدعت حياة الإنسان من هلايكات لا شأن لها ، ثم ظلت تنهض بها في معارج السمو والتصعيد المادي والمعنوي إلى أن أقابته عند عتبة الأسرار الكونية ، وأورثته علم استغلالها وتسخيرها ؟ ..

قالوا : فماذا نقول إذا ؟ .. إنه على كل حال خير تفسير يمكن أن يتسق مع الظواهر الطبيعية المرئية أمامنا ، وهو على ما فيه من نقائص ضعف وعوامل نقد ، أقرب إلى الفكر العلمي من القول بأن الأرض أو السماء انشقت فجأة عن كائن معقد الصنع عجيب الطوية ، يهدد الأرض بقوته ويطمح إلى القمر والنجوم بسلطانه ! . أجل .. إنه منطوق ، ولكنه منطوق وهمي ، ينسجم مع عقلية ذاك الذي وضع نفسه في حلقة مغلقة أو حصر نفسه في طريق مسدود . ومن ثم فهو

تحتضن أكثر القضايا العلمية والفكرية
عند الفسرب وأشياعهم وعبيدهم
من الشرق .

أما الاسلام ، فهو بحق ، المربى
المعظم الذى ينشئ عقول المسلمين
على التنزه عن هذه اللعبة التى لا تليق
بقداسة العقل الإنسانى وحريته .
والرغبة ، والمنفعة ، والتقاليد ،
والبيئة — كل ذلك يأتى ، فيها يقضى
به الإسلام ، من وراء السلطان المطلق
للعقل .. العقل الصائى عن لقاح
المؤثرات أيا كانت ومن أى جهة
وفدت ..

وحرية العقل — فيها يقضى به
الإسلام — أمانة مقدسة استودعها
الإنسان . وأى تضيق فى مجاله
الطبيعى ، أو انتقاص من سبله
ونوافذه ، خيانة كبرى يلقي عليها
صاحبها العقاب الرهيب من الله
يوم القيامة .

وحرية العقل لا تعرف — فيها
يقضى به الإسلام — شيئا اسمه
« وجهات النظر » ! .. إذ أن وجهات
النظر هذه ليست الا نوافذ فى
سجون يرى العقل الإنسانى فى كل
منها — أذ يكون سجيناً — جانباً من
جوانب الحقيقة الواحدة ، حيث تتحطم
الحقيقة جذاذاً بين نوافذ هذه
السجون المختلفة .

وصدق الله أذ يعبر بيانه المعجز
عن هذا كله بقوله :

« ولا تقف ما ليس لك به علم .
إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسؤولاً » .

حولها من المستعمرات الرومانية ،
واحتمال أن تكون انعكاساً لحضارة
سبأ أو شريعة حمورابى .

وإذا كان الاحتمال الأول مردوداً
بفصول مبسطة من البحوث العلمية
المعروفة ، فليؤخذ بالاحتمال الثانى
إذا .. أما إذا كشفت البحوث
التاريخية الثابتة عن أنه لا مجال للقول
بأن الشريعة الإسلامية مقتبسة عن
شريعة الرومان ، فلا مناص عندئذ
من القول بالاحتمال الثالث . ومهما
كانت هذه الاحتمالات مدفوعة بسلطان
المنطق والعلم ، فله أولى فى ميزان
العلم والعقل من القول بأن هذه
الشريعة المتكاملة الواغية التى تعكس
آثار حضارة باسقة ، قد ظهرت فى
بادية قاحلة ، وافتتحتها أمة البادية
والصحراء ، مع ما هو ثابت من أن
نقاد الشيء لا يعطيه . (٢) .

اجل .. إن هذا أيضاً منطق ! ..
ولكنه منطق من قد سجن نفسه فى
غرفة ليس فيها من الطعام الا كسرة
خبز يابسة ، الى جانب بقية إدام
فاسد بشيع ، الى جانب ماء آسن
مستقذر ، ومن وراء باب الغرفة كل ما
تهفو اليه النفس من الطيبات ! ..
لاجرم أنه — وقد أحكم سد الباب
على نفسه — منطقى مع تفكيره عندها
يخير نفسه بين الكسرة اليابسة والإدام
البشيع ، ثم يبرهن لها بما يبصرها
من أرض الغرفة وجهاتها الخالية
الأربع ، على أنه ليس ثمة ما يصلح
أن يؤكل إلا هذا وذلك ! ..

أما الإسلام فقد ربي العقول على
التنزه عن هذا

ويظل من هذا المنطق الوهمى

(١) «نظر «العقل والدين» لوليم جيمس ص : ٤ و ٥ ..

(٢) الذى صاحب هذا اقتبال محاضرة فى رابطة المعتزتين بدشق عنوانها « ذاتية
التشريع الإسلامى فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام » لعلها أن تها قريباً للنشر .

ذكري ميلاد

مَنْ ذَكَرَكَ

للاستاذ احمد محمد جمال

في اوائل هذا الشهر الاثني عشر ربيع الاول ، ما بين اليوم التاسع منه واليوم الثاني عشر — على اختلاف الرواية — ولد محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .. (محمد) الذي جاء استجابة لدعوة أبيه ابراهيم (١) وتحقيقا لبشرى أخيه عيسى (٢) وتصديقا لرؤيا أمه آمنة حين رأت وهي حامل به أن نورا خرج منها أضاعت له قصور الشام .

وقد اعتاد المسلمون — هيئات واذاعات وصحافات — أن يحتفوا بذكرى هذا الميلاد الشريف ، حيث تلقى الخطب ، وتنشر المقالات ، وتنشر القصائد .. التي تمجد (محمدا) وتروي سيرته ، وتصور بطولته ، وتذكر برسائلته الفذة التي بعثه الله بها إلى الناس كافة ، لانتقاذهم مما ركبهم من جهالة ، وما ركبوه من ضلال ..

وحق للمسلمين : أن ينتهجوا لذكرى مولد النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم وبارك ، وإن ينشطوا قلوبا وعقولا لإحياء تذكيراته الجلائل ، وحق (ل احمد) نفسه أن يحظى بهذا الاهتمام والتحفى من أمته التي جساء صلى الله عليه وسلم وبارك — حريصا على هداها ، رحيما في سياستها ، حكيما في قيادتها ، عادلا في قضائها ، باتيا لامجادها ، مرتفعا بها في مدارج الخير والكمال ، ومعارض الحق والجلال .

ونحن — هنا في مكة المكرمة ، مسقط رأس محمد ، وفي مهبط الوحي الالهي عليه ، ومنزل رسالة الاسلام اليه — احق الناس بذكره ، واولاهم بالتذكير به .. صلى الله عليه وسلم وبارك عليه .

الرسول

تنفع المؤمنين

ان (محمدا) بعث من العرب اليهم والى الناس كافة ، وولد فى ارضهم ، ودرج عليها ، وسعى فى شعابها نذيرا وبشيرا ، ثم اذاع واصحابه واتباعه من بعده : برسالته هدى ورحمة وبشرى للمسلمين .
● هل اردد ما يقوله غيرى : ان الحضارة الإسلامية التى انشأها محمد بن عبد الله هى اسلم الحضارات الانسانية واكرمها واقومها واحكمها: تشريعا وتعلما وتربية واجتماعا وسياسة ؟

● ام اقول ان (الاسلام) الذى جاء به محمد بن عبد الله قد ازداد بتقديم العلوم البشرية واكتشافاتها ، وتأملت علماء العصر وتفكيراتهم ظهورا وبيانا على انه الدين الحق : عقيدة وشريعة وخلقا — وفاء بالوعدة القرآنية: (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ..) (٢) ؟

لا اريد ان اقول هذا ولا ذاك ؟ فهو جملة وتفصيلا كلام معروف : وتاريخ مقرر ، وحقيقة لا تحتاج الى دليل .. لان اعداء الاسلام انفسهم شهدوا بها ..



وايما اريد ان اقول شيئا آخر .. فى ذكرى ميلاد محمد عليه الصلاة والسلام . اريد ان اقول : اننا نحن المسلمين نفتا نفكر (محمدا) كثيرا ، كثيرا جدا ، فنكره فى صلواتنا الخمس ونوافلها ، ونذكره بعدها مع التسبيح

بحمد الله وتكبيره ، ويذكره فريق منا بأوراد خاصة محددة بأيام الأسبوع ، ونذكره أيضا كلما أذن المؤذن ، وكلما أقيمت الصلاة (٤) .
ولكن مع هذا الذكر الدائم المكرر له صلى الله عليه وسلم وبارك — لا نتجاوز التطق به بأقوالنا عندما نشهد برسائله ، أو نصلى ونسلم عليه .
وهي (صلاة) مطلوبة ومنهوبة ، وراغم أنف امرئ ذكر محمد عنده فلم يصل عليه — كما جاء في حديث نبوي — والقرآن قبل ذلك يقول : (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٥) .

غير أنا مطالبون وملزمون : أن نذكر (محمدا) نكرا عمليا ، نكرا خلقيا ، نكرا سلوكيا :

● « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .. »

● « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

● « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .. »

● « وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

● « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » .

علينا — إذن — حين يرد اسمه الكريم في أذان المؤذن ، وفي إقامة الصلاة وتحياتها وبعد قضائهما ، وعندما يذكره وأعظ أو يحدث أو كاتب — علينا أن نصلى عليه صلاة من قلوبنا ، لا بالسنننا وحدها .. صلاة بعقولنا لا بوجداننا فقط .. صلاة نتذكر بها سيرة معلمنا الأول ، وقائدنا الأفضل ، ورائدنا الأمل .. صلاة نتدبر بها ما نحن فيه خلافا لما يجب أن نكون عليه كاتباع لهذا النبي الكريم : من (قوة) أمرنا بإعدادها (٦) و (عزة) وصفنا بها (٧) .

وعن (خلق) محمد الذي يطالبنا القرآن أن نتخذه أسوة حسنة — كما أسلفنا — يقول القرآن :

— « وإليك لعلى خلق عظيم » .

— « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

— « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر » .

— « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

هذا غيض من فيض مما يذكره القرآن عن (محمد) صلى الله عليه وسلم ، وعما جاء به من هدى ونور . ولو ذهبت أجمع ما يذكره القرآن عنه في موضوع الحكم ، وموضوع المعاملة ، والأسرة لأبصرتم عجبا ، ولانتشيتم طربا من القرآن الذي هو خلق محمد ، أو من خلق محمد الذي هو القرآن (٨) ولكن الحديث — لو فعلت — يطول ، والمقام لا يتسع ، فحسبنا هذا التذكير الوجيز ..

حسبنا أن نذكر أن (محمدا) بعث رحمة للعالمين ، وكان هو في نفسه وإلهه وأمه رحيما رؤوفا ، يعفو ويستغفر ، ولا يستبد دون أمته برأى منفرد ألا أن يكون حيا من ربه المعلم الحكيم .

● وكان — صلى الله عليه وسلم — حريصا على امته ان تهتدى وترشد عزيزا عليه ان تجهل او تضل ، او تتفرق شيما واحزانيا .
● وكان سراجا منيرا باخلاقه ومعاملاته ومحادثاته ، لا ظلم ولا ظلام في ما يقول وما يفعل .

● وكانت امته التي عاشته وصاحبه : متراحمة فيما بينها ، اقتداء بقائدها الراشد ومعلمها الأمين ، كما كانت شديدة على اعداء دينها الذين يفسدون له ويكيدون .

● وكثير او ثمر للذكرى والتذكر : يجب علينا اقتداء بالنبي الكريم واصحابه : ان نكون رحماء فيما بيننا ، اشداء على عدونا ، معدين للقوة التي امرنا بها ، طالبين للعزة التي اسبغت علينا .



والقرآن الكريم الذي هو خلق (محمد) صلى الله عليه وسلم يجعل الذكرى واجبا ، ويصفها بانها « تنفع المؤمنين » ، ويحثنا نحن اتباع هذا النبي العظيم على التذكر الدائم لاحداث الماضي ، واخبار الفارين . ذلك بان لكل حدث فردى او جماعى ، سار او ضار : نكرى ناقعة او رادعة . . تحفز وتوقظ وتهض . . ان كانت شرا فالى الخير ، وان كانت خيرا فالى المزيد منه . .

ونكريات القرآن الكريم من قصص واخبار وعبر : دليل على تحفى الاسلام (بواجب الذكرى) وحثه المسلمين على الاتعاظ بها ، والانتفاع منها . وحسبنا حجة بالغة واحدة فى هذا المقام هذه الآية القرآنية :

● « لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب » (٩) .

وحسبنا ايضا استدلالا على وجوب (الذكرى) ان ننظر فى لفظتى « اذكروا واذكروا » الواردتين فى القرآن كثيرا ، وما جاء بعدهما من قصص واحداث واخبار عن السابقين . . ساقها القرآن لتكون بواعث عبر ، وحوافز هبم ، ومصادر عزيمات للمسلمين .

وحسبنا كذلك ان نقدر — كما قدر المفسرون قبلنا — كلمتى « اذكروا واذكروا » قيل لفظة (اذ) الواردة فى القرآن مرات اكثر واكثر . . فهى تاريخ مديد مفيد ، لاجيال وامم ، وحسنات وسسيئات ، ونعم ونقم ، وحضارات وجاهليات . .

لقد جاء — فى القرآن — من ذكرىات نبينا صلى الله عليه وسلم واصحابه . .

● « واذا يكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، او يقتلوك او يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

● « واذكروا انكم قليل مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس ، فاواكم وايدكم بنصره ، وورزكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

● « وانكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .
 ● « وإذا يعنكم الله أحدي الطائفتين آتاهما لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم . ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » ..

وجاء في القرآن من ذكريات موسى عليه السلام وقومه بنى إسرائيل :
 — « وإذا وعدنا موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » .
 — « وإذا قلت يا موسى إن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » .
 — « وإذا قلت يا موسى إن نصبر على طعام واحد » .
 — « يا بني إسرائيل انكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » .
 وجاء في القرآن أيضا من ذكريات عيسى عليه السلام وقومه النصارى هذه الآيات :

— « وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أبتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلا » .
 — « وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون » ..
 — « إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله أن كنتم مؤمنين » .
 وجاء فيه من ذكريات الأنبياء والأقوام الآخرين هذه الآيات :
 — « إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس » ..
 — « وإذا بوانا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود » .
 — « واذكر عبائنا إبراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدي والابصار » .



هذه أمثلة قليلة من ذكريات القرآن الكريم عن قصص الأنبياء السابقين وأممهم ، وما تركوا من عبر وعظات تنفع أو تردع . وهي دليل مبين على أن (الذكرى) واجبة لأنها « تنفع المؤمنين » .

ونعود لذكرى « الملائكة النبوى » وصاحبها الحبيب صلى الله عليه وسلم ، فنجد القرآن يصفه عليه الصلاة والسلام بأنه (ذكر) في قوله تبارك وتعالى : « فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا : رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور » .. (١٠) .

وإذا كان الرسول ذكرا ، والقرآن أيضا هو ذكر (١١) إذن (فالذكرى) واجبة ، وأحياء الذكريات الإسلامية لزام على المسلمين ، ولكن بشرط الاعتدال والبعد عن الابتداع ، وعن المهازل والمظاهر الجوفاء ، وعن الزيد الذي يذهب جفاء .

ولتأمل ما وصفت به الآيتان السالفتان (محمدا) صلى الله عليه وسلم من أنه (ذكر) وأنه (رسول) وأنه (يتلو عليكم آيات الله مبینات) لماذا ؟ (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) ! فلإخراج من الظلمات الى النور - إيجاز بليغ من إعجازات القرآن الفذة ، يطوى تحته معنى شتى تتوافق في الأصل ، وتختلف في الفروع ..

● إنها ظلمات كثيرة ، ونور واحد ..

ظلمات الجاهلية الجاهلاء ، والحمية العمياء ، والمقائد الفاسدة ، والمعادن الجانية ، والمظالم الفردية والجماعية ، والفرق والأحزاب والعصبيات .. وتلك هي حياتنا قبل الإسلام .

ثم جاءنا « من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام .. » (١٢) من توحيد الخالق . واتحاد الخلق والعدالة في الحكم ، والجهاد بالنفس والمال في سبيل الحق ، وأحسان المعاملة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتآخي والتراحم بين الأقرين والأبعدين على سواء ..

● وصدق الله العظيم : « أن الدين عند الله الإسلام » .

● « وفكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

(١) سورة البقرة / ١٢٩ : « وما أبعث فيهم رسولا منهم . »

(٢) سورة الصف / ٦ : « ومبشرا يرسلون يأتي من بعدى اسمه أحمد » .

(٣) سورة فصلت / ٥٢ ..

(٤) حيث أمرنا أن ندعوه له : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقابلا لمصودا الذي وعدته » .

(٥) سورة الأحزاب / ٥٦ .

(٦) سورة الأنفال / ٦٠ « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. »

(٧) سورة المائدة / ٨ « ولله الحزرة ولرسوله وللمؤمنين .. »

(٨) في حديث صحيح عن عائشة أنها سئلت عن خلق النبي فقالت : « كان خلقه القرآن .. »

(٩) سورة يوسف / ١١١ ..

(١٠) سورة الطلاق / ١٠ و ١١

(١١) سورة الزخرف / ٤٤ : « وأنه الذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

(١٢) سورة المائدة / ١٥ و ١٦ ..

الباحثون

عن النور

للاستاذ محمد الجنبوب

١ - لو حشمت أمام انتظار المكركين أوضاع البشر ، وما صارت إليه من الحيرة والضيق والظلم ، أثناء القرن السابع الميلادي ، ثم عهد لكل من هؤلاء بوصفها لما بلغوا من الدقة والتركيز بعض ما احتواه قول الله تعالى في هذا الشأن : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ليذيقهم بعض الذين عملوا ، لعلمهم يرجعون) (سورة الروم آية ٤١) .

وحين يرجع العاقل البصير في مضامين سورة الروم ، وما أحيطت به هذه الآية هناك من العبر والأحداث والتوجيهات الإلهية ، يزداد وعيا لهذه الحقيقة الكبيرة ، إذ يرى نفسه تلقاء تنظيم كامل يتناول الحياة كلها ، ويشد النظر المؤمن إلى سنن الله في الكون وفي الأمم ، فيشهد عاقبة كل من المستقيمين على هدى الله ، والزائغين من سبيله ، فيعلم أن الاستقرار والأمن لن يتوفرا إلا بالتزام (الدين القيم) القائم على التراحم والتناصر في الحق ، وأن كل انحراف عن هذا الصراط مؤد بأهله إلى الشقاء الجارف ، والضياع المبين ، لأن (من كفر فعليه

كفره ومن عَمِلَ صالحاً فلأنفسهم يهتدون) سورة الروم آية ٤٤ .
 وفى استعمال لفظ (الفساد) لتصوير الأوضاع الإنسانية على مستوى
 الكرة الأرضية كلها ، ساكنو الجبال والأودية والجزر ، تركيز شامل لكل
 ضروب الانهيار التى تمرى حياة الإنسان ، فرداً أو جماعة . فالفساد يقابل
 الصلاح ، وإذا كان صلاح الحياة يمثل انتظام روابطها الفطرية على أتم وجه
 من الانسجام ، فالفساد ليس سوى الإخلال التام بكل ما هو صالح ومصلح
 لواقع هذا الإنسان .. والكون والفساد عند قدماء الفلاسفة يراد بهما تآلف
 العناصر الذى به يستمر وجود الشيء ، ثم انحلال هذه العناصر وما يتبعه من
 اختلال يفتقدها خواصها الأساسية . وهو مدلول يلتقى مع التركيز القرآنى إلى
 حسد بعيد .

أما هذا الفساد العام فهو حصيلة التصرف الأخرق الذى عاين به الإنسان
 السنن الكونية .. فكان لا مندوحة له من الاحتراق بنار هو الذى أوقدها على
 نفسه . ولكن جائحة الفساد هذه ليست نهائية ، فهى على كبر خطرها وشموله ،
 قابلة للتقلص فالتلاشى ، إذا أحسن ذلك الجانى تدارك موقفه من النظام الكونى ،
 مرجع إلى المطلق الصحيح ، كمثل الذى ينشب بملغى الذخيرة فى عكس
 موضعها ، فيجعل السالب كان الموجب ، والموجب كان السالب . فإذا ناجاه
 الخلل اسرع إلى تلافيه برد كل من اللقطين إلى موضعه المصمم .. وبذلك تنظم
 الدورة الكهربائية ويزول الضرر المنتظر .

أجل .. هكذا نهاية كان وضع الإنسان يوم ميلاد خاتم النبيين ، إذ كانت
 الشعوب قطعتاً من الغنم ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج ، والحكام
 كسيف فى يد سكران ، يضرب به نفسه ومن حوله دون تفكير بالمواقب) وكل
 محاولة تقدم بها الفلاسفة لاصلاح هذا الخلل لم تزد إلا كثافة وعمقا ، لأنها
 بأسرها إنما انبثقت من نظريات ظنية ، لا تستند إلى أساس صحيح من طبيعـة
 الكون . ولا عجب فالفيلسوف بالغاً ما بلغت ملاحظاته من الدقة ، عاجز عن
 الإحاطة التامة بجزيئات النظام الطبيعى وعلاقة بعضه ببعض ، وموقع هذا
 النظام فى بيئته وأزمته المختلفة ، فإذا عمد إلى علاج ما يواجهه من الفساد
 قصر عن إدراك ما لا يواجهه ، فجاءت محاولته عارية من كل أثر للاصلاح الحق ،
 لانطلاقها من نقطة الخطأ .. وهو فى ذلك أشبه بالطبيب المغفل الذى يريد
 معالجة العضو المريض فى معزل عن جسمه فيكون دواؤه المحلى مثيراً لمضاعفات
 لا يتوقعها فى سائر الأعضاء .. ثم تكرر التجربة ففتباين النظريات وتعمدد
 المحاولات ، وتكون حصيلة كل ذلك مزيداً من الشقاء لهذا الإنسان ، الذى ضلَّ
 طريقه القويم ، فنسى عهده مع الله ، يوم أذنه بأن لا استقرار له ولا أمن إلا
 باتباع هداة ، الذى يرسل به إليه أنبياءه كلها على الطريق ، وحرار الرقيق ..
 ٢ - ومن الأسرار المركوزة فى فطرة هذا الإنسان أن لا يزال فى بعض
 أفراده خاصية التفاعل مع الحقيقة ، والتفتن إليها مهما بعد عنها السواد الأعظم
 من جنسه . فما أن يتاح لهم أن يوجهوا أذهانهم إلى بعض جوانب الواقع المحتل
 حتى يشعروا بانتفاضة الفطرة تشدهم إلى التأمل ، وتطلق السنتهم بأشوات
 التساؤل ! .. ولو نحن رحنا نقتصى هذه الظاهرة العليا فى طوايا التاريخ لرأيناها
 بارزة فى كل زاوية وكل مرحلة وكل منعطف ، مستمرة على مدى الأزمان .
 وقد ضرب لنا القرآن العظيم الأمثلة العملية لهذه الظاهرة فى الكثير من
 سوره ، ولعل من أبرزها مثلاً فى سورة الكهف أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم
 فزادهم هدى .. وكانت خلاصة قصتهم أنهم استشعروا نفور الفطرة من ضلالات

قومهم فتصارحوا بها ، وتعاهدوا على هجرها .. ولقوا في سبيل ذلك أشد العنت ، حتى جردوا من منازلهم الاجتماعية ، وآثروا عليها الحرمان في طاعة الله ، إذ لجئوا الى الكهف ، فنشر لهم ربهم من رحمته ، وجعلهم واحدة من آياته .

ولن يقل عن أهل الكهف أهمية حنفاء مكة والمدينة قبيل فجر البعثة النبوية .. فقد كان هؤلاء مثلاً حياً على ترمد الضمير العربي الأصيل على سفاهة الوثنية ، التي ابتليت بها جزيرة العرب على يد الضال الأول عمرو بن لحي ، الذي كان أول من أشاع فيها عبادة الأوثان ، بنقله اصنام الرومان الى البيت الحرام ..

ويحدثنا مؤرخو السيرة النبوية عن طائفة من هؤلاء النبهاء ، ويسمونهم زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وعثمان بن الصارث — أو الحويرث — وعبد الله بن جحش ، وأميمة بنت عبد المطلب ، على نحو ما حدث به الرواة عن الملبسات التي أحاطت بفتية الكهف ، إذ يقولون بأن هؤلاء الحنفاء قد تلاقوا ذات يوم في مناسبة وثنية ، فوجد كل منهم فرصة للانقضاء بما يخالجه من إنكار لهذه الضلالات .. ثم اتفقوا على أن ينطلقوا في الأرض باحثين عن الأصول التي مقدها قومهم من دين أبيهم إبراهيم . ويرى الذهبي في (سير أعلام النبلاء) هذا الخبر عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق : ويمد أن يشير الى مصابر بعضهم يقول : ولم يكن فيهم اعدل شأننا من زيد .

أما زيد هذا فهو ابن عمرو بن نفيل العدوي ، والد سعيد بن زيد أحد المبشرين بالجنة ، وابن عم عمر بن الخطاب . والظاهر من سيرته أنه كان من ذوى الأحلام والرحمة واليسار ، وبهذه الصفات المميزة اهتدى الى القطع بفساد الوثنية ، فاعرض عن سبيلهم ، وحرّم على نفسه الأكل من ذبائحهم التي يسمون عليها غير الله .

وبلغ من أريحيته للخير والنقمة من شذوذ الجاهلية أنه كان يستنفذ المؤودات ، فإذا رأى الجاهلي يريد قتل بنت له قال له : مه .. لا تقتلها . أنا أكفيك مؤنتها ، ويأخذها فيريها على الوجه الذي يرضى فاضلاً مثله ، حتى إذا وافت من الزواج عرضها على أبيها ، فأما أن يزوجها أو يدعها له فيختار لها الكفء .

وكان زيد حاد المزاج ، كما يترأى من سلوكه ، فهو إذا أنكر أمراً لم يستطع كتمانه بل أعلن موقفه منه ، وهذا الضرب من الناس لا مندوحة له عن احتفال الأذى في سبيل أفكاره التي يؤمن بصلاحها .

لقد اعتزل زيد الأوثان ، وأبى أن يشارك في تكريمها ، ولكنه لم يكتف بذلك فراح ينمى على قومه زيفهم وضلالاتهم ، فإذا رآهم يذبحون للنصب أخذهم الغضب وجعل يوبخهم ببطل قوله : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء ، وأثبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ! ..

ويبرز من ادعائهم ملّة إبراهيم ، فيخطبهم ، وهو مسند ظهره الى الكعبة ، قائلاً : يا معشر قريش .. والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري ! ..

وشد ما يثيره مشهد البيوت المنصوبة للدعارة ، وقد زُجت فيها إماء السادة مكروهات على تماطى البغاء ، ليجلبن المال الى هؤلاء الكبراء ، فلا يتمالك أن يهتف بالسفهاء من رواد تلك البيوت : يا معشر قريش .. ليأكسم والزنا مائة يورث الفقر ..

وطبيعى أن صراحة كهذه ، وإن كانت مقبولة عند عامة الناس من قحطان

مكة ونزلاتها ، ليس من شأنها أن تقع موقع الرضى في نفوس العلية من صناديد قريش ، الذين يرون مصلحتهم في استمرار كل ما آلفه الناس ومن هنا كان رد الفعل بوجه زيد مساويا لشدة بل أشد ، وقد نهض بكبر ذلك عمه وأخوه من أمه (١) الخطاب بن نفيل ، الذي تواطأ مع صفية بنت الحزرمي زوج زيد على زيد ، إذ قال لها : إذا رأيته قد هم بأذنيني به . فكانت ترأب تحركاته وتتابع اتصالاته مع الذين يحاول استجلابهم الى طريقته ، فيؤسف ذلك ، ولكنه لا يزيد على أن يعاتبها وينذرهما بالفراق في مثل قوله :

لا تحبسيني في الهوا	ن صفى .. ماذا بي ودابه !
انى - اذا خفت الهوا	ن - مثير ذل ركباه
.. وأخى ابن أمى ثم عمى (١)	لا يواتننى خطابه
واذا يعاتبني بسوا	قلت أعينى جوابه
ولو أن أشاء لقلت ما	عندى مفتحه وبابه

وفى آلياته هذه خطوط واضحة لنفسية زيد وخلقه الرفيع ، فهو عفى على السوء ، لا يستطيع المقام في دار هوان .. وهو شديد الألم من تصرفات عمه ، ولكنه يتحمل آذاه صابرا ، لا عجزا عن مجابته بمثل كلامه ، ولكن ترعفا عن مقابلة الإساءة من أولى الأرحام بمثلها ..

٣ - ويشد تشويق الخطاب على زيد حتى يضطره للنزوح الى حراء ، ولم يدعه هناك لنفسه بل وكل به شبابه سفاه ، وكلهم أن يشددوا الرقابة عليه ، فلا يدعوا له سبيلا الى مكة ، خشية أن تشيع أفكاره المثيرة بين زوارها وقطانها ، فلا يملك إلا أن يشكو به الى ربه ، فيستعديه عمل من يستحل حرمة بيته بايقاع الاذى على عمار حربه :

لا هم إني محرم لا حله
وإن بيتي وسط المحلة
عند الصفايس بذى مضله

وهكذا حيل بين زيد وبيت الله ، فلا يتاح له الإسلام به إلا سرا ، على حين غفلة من رقبائه ، فاذا علموا بانسلاله لاحقوه وأذنوا به الخطاب ، الذى لا يلبث أن يصب عليه من قسوته التى اشتهر بها .

وكان ذلك حافزا لزيد على الضرب في الأرض ، فمضى على وجهه حتى أتى الشام ، وجاب كل مظنة للعلم فيها ، فاتصل بأحبار اليهود ورجال النصارى ، يسألهم عما يفقده من الدين الحق .. فلم يظفر بها يشفى صدره ، حتى جبعه القدر براهب شامى على سمة من العلم والحكمة فقال له : أراك تريد دين إبراهيم يا أبا مكة ! .. أنك تطلب دينا ما يوجد اليوم ، فالحق ببلدك فإن الله يبعث من قومك من يأتى بدين إبراهيم بالحنيفية ، وهو أكرم الخلق على الله .. وهناك أدرك الا دين إلا ملة إبراهيم ، وأن لا سبيل اليها عند أحد من أهل الأرض ، إلا أن يبعث الله بها نبيا جديدا يرد الناس الى طريقها الصحيح . ويروى البخارى عن طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أن زيدا قال يومئذ ورفع يديه : اللهم إني أشهدك أنى على دين إبراهيم .

وانقلب زيد من الشام يريد مكة رجاء أن يدرك فيها النبى الموعود .. ولكن ما كاد يتوسط ديار لخم حتى عدا عليه أسرار منهم فقتلوه ، ويتفق أكثر الرواة كصاحبى الأغاني والاصابة والذهبي في سيره ، على أن مقتله كان في مكان اسمه (مبعثة) أو (مينة) من البلقاء بأرض الشام .. وذلك قبيل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

٤ - وقد ترك لنا زيد بن عمرو بن نفيل هذا مقطعات من الشعر جديدة بالدراسة ، لا لأنه يتفوق بها على شعراء عهده ، ولا أنها تؤهله للانتظام في عدادهم ، بل لما تنطوى عليه من ومضات وجدانية ، ترسم للدارس خطا واضحا من التطلع الروحي الحر الى ما وراء ذلك الواقع الجاهلي القلق ..
في السيرة المنسوبة لابن هشام عدة مقطعات ممزوة لزيد ، وأطولها مما لم يشك في صحته تلك الرائية التي يصف بها موقفه من دين قومه ، وما يعانیه من سفهائهم ، وفيها يقول :

أريبا واحدا أم ألف رب أدين اذا تقسمت الأمسور !
.. عزلت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجسد الصبور

انه يستثير ضمائر الغافلين للتفكير في واقعه المقلوب .. فالإنسان أحوج ما يكون إلى الإيمان حين تضطرب به السبل ، وتواجهه الأحداث ، فالي من تراه يلجأ ، وبين يلوذ اذا كان يقينه موزعا بين مختلف الآلهة ؟! وكفى بهذه التناقضات حجة على المشركين الذين أسلموا أزمة نفوسهم للاستنات من المعبودات .. فلا عجب أن ينتهي من هذا الإلزام الفطري الى هجر هاتيك الترهات ، التي يطلقون عليها أسماء اللات والعزى وهبل ، وما اليها من أوهام ترفضها الأحلام .. ثم لا يجد راحة لقلبه إلا بعبادة الله الأحد الذي لا شريك له ولا ولد :

ولكن أعبد الرحمن ربى ليفسر فنبى الرب الفسور
ولم من أروع ما أثر عنه ، واتفق الرواة على صحة نسبه اليه ، قوله الآخر :

واسلمت وجهي لن أسلمت له الأرض تحل صخرا ثقالا
دحاها ، فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمت وجهي لن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هي سقيت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجلا

ففي هذه الأبيات تأملات حية حارة ، تنبئ من تجربة روحية وذهنية بعيدة الغور ، لا تتاح إلا في الجلوات النادرة ، وللنفوس النقية الشفيفة ، التي تدرك بالنظرة الفطرية من أسرار الكون ما يلهث دونه كبار الفلاسفة إعياء وقنوطا .. ولا عجب فبالعقل يستدل صاحبه على باري الخليفة ، ولكنه يأبى إلا أن يتجاوز المدى الذي حدد له فيلغى بنفسه في متاهات التخمين حول صفات ربه ، ثم يبيع نفسه أن تتحكم في تقرير النتائج الفيبية وفق تصورات القاصرة ، ومؤثراته المختلفة . هذا على حين يقف المتأمل في مواجهة الحقائق الكبرى مستروحا نفحات اليقين ، المؤيد بكل ما يقع عليه حسه ، ويلامس وجدانه من الآيات الناطقة بجلال ربه وكيالاته التي لا نهاية لها .. فلا يلبث أن ينسجم مع القوانين الكونية ، مسلما وجهه الى الحكيم الرحيم ، الذي أحسن كل شيء خلقه ، وعنا لأمره علوى الوجود .. وسفليه .. ومع أن المتأمل لا ينفك يعاني من الحيرة بسبب جهله الوسيلة التي تقربه الى الله ، فهو حتى في موقفه هذا أوفر اطمئنانا من الفيلسوف ، الذي كثيرا ما يدفعه جهله لهذه الوسيلة الى إنكارها كليا ! ..

وهكذا رأينا زيد بن عمرو يطوف الجزيرة والشام نشداننا لدين إبراهيم ، الى أن لقي حنقه وهو في الطريق الى مشرقه المنتظر . وقد تضافرت الروايات

عن اسماء بنت الصديق أنها شهدت زيدا عند الكعبة يسجد على راحته وهو يقول : اللهم .. لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه (٢) .

ويبلغ ورقة بن نوفل ، رقيق زيد فى رحلته وراء الحقيقة ، مصرع صاحبه ، متهيج مشاعره الآسية ، ويتذكر مزاياه العالية ، وجهاده العظيم من أجل الحق ، فلا يتمالك أن يرثيه بهذه الأبيات ، التى تفيض مودة وتقديرا ولهفة الى الغاية التى استمر زيد فى طلبها حتى اللحظة الأخيرة :

رشدت وانعمت - ابن عمرو - وأنا بدينك ربا (٣) ليس رب كئبله وإدراكك الدين الذى قد طلبته فأصبحت فى دار كريم مقامها تلاقى خليل الله فيها ، ولم تكن وقد تدرك الانسنان رحمة ربه	تجنبت تنورا من النار حاميا وترك أوثان الطواغى كما هيا ولم تك عن توحيد ربك ساهيا تعملل فيها بالكرامة لاهيا من الناس جبلا ، الى النار هاويا ولو كان تحت الأرض سبعين واديا
---	--

وفى تصوير ورقة أشواق زيد وتطلعاته ، انما يصور أيضا أشواقه وأصحابه وتطلعاتهم الأثيرة . وأنا شخصا لا أستبعد أن يكون ورقة قد صاغ أبياتانه هذه فى رثاء صاحبه بعد اتصاله بخديجة وعليه بمطالع الوحى ، الذى أكرم الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأسفه أن يحرم زيد لقاء المبعوث بالدين الذى يحب ، ولكنه فى بيته الأخير يتوقع أن يؤجره الله بنيته فيكتبه بين المؤمنين برسوله ، وأن لم يسعد بلقائه كما سعد هو ..
ومدحت "إلهامات" ورقة ، وبر "الله جهاد عبده زيد بما أثر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنه .

يقول المحقق العكلم شمس الدين الذهبى فى سيره عن زيد : (وهو من أهل النجاة ، فقد شهد له النبى صلى الله عليه وسلم - أنه - يبعث أمة وحده) . وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن سعيد بن زيد أنه سأل رسول الله عما إذا كان له أن يستغفر لزيد أبيه ، فقال له : (نعم .. فإنه يبعث أمة وحده) .. وحده) ..

وفى أثر عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دخلت الجنة فראيت لزيد ابن عمرو بن نفيل دوحتين - جنتين -) ..
وأخيرا .. كم فى جاهلية اليوم من باحث عن الحق كزيد والحنفاء إخوانه ! . ولكن .. من لهم بأن يهديهم سبيلهم الى القائد المنتد ، الذى كان مولده بمنطلق الفجر المبين ، ورسالته رحمة الله للعالمين ! ..

(١) كان الخطاب أبا زيد لأمه وأخاه أبيه ، إذ أن أباه عمرا تزوج أم الخطاب زوج أبيه جديدا بنت خالد بزواج الجاهلية الذى حرمه الله فى الإسلام ، فوُلدت له زيدا ، فكان الخطاب عمه من جهة أبيه وأخاه من جهة أمه .

(٢) ابن هشام ج ١ ص ٢٢٥ وفى (سير اعلام النبلاء) ج ١ ص ٨٧ أن قتال هذه العبارة هو ورقة ، وهو يسندنا الى ابن اسحاق .. ولكننا نجد ابن هشام يروى عن اسماء أنها لزيد . وهى به أشبه ، لأن ورقة تنمر فعلم كيف يصلى وقل زيد هاترا .

(٣) ربا بمعنى فعل المصدر (دين) والجار متعلق بفعل تجنب . وقد قدمنا البيت الخامس وكان سائسا لأنه يذكّر بذلك أقرب الى الترتيب . م

إلا لم يواجه المسلمون مشكلات العصر بقوة مخلفين من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم - الحجة ، فإن يستمع اليهم أحد ، وفي هذا المقال اجتهاد يحل كثيرا من مشاكل عصرنا ويوجب على أسئلة الناس ، ويجعل العلم يلتقي بالإنسان وليس في ذلك ما يمس العقيدة أو يهز كيانه - هذا ما يقوله الدكتور الغدوي في رسالته واستجابة لهذه البواحث الإسلامية الهانفة ننشر هذا المقال .

ماوى الأشباح ومكان الأرواح ومثوى الموتى من عهد آدم والله يامرنا برصدها ودراستها في مثل قوله تعالى :

١ - « قل انظروا ماذا في

السموات والأرض » - يونس (١٠١) .

٢ - « ويتفكرون في خلق

السموات والأرض » .

٣ - « أو لم ينظروا في ملكوت

السموات والأرض » - الأعراف

.. (١٨٥)

قلت بل ان الأرض والسماء كانتا شيئاً واحداً متصلاً ثم انفصل ذلك الشيء الى اجرام . وهذه حقيقة فلكية مهما اختلف الراى في طريقة الانفصال .. والله تعالى يقيم الحجة على

تصور الناس ضمن ما تصوروا ان السموات السبع شيء لا يمكن ادراكه ولا معرفته ولا الوصول اليه . وتصورها المتقدمون كما تصوروا مثلاً بحار الأرض والمحيط الاطلسي الذي أسموه بحر الظلمات تسكنه الأشباح وتهيم فيه الأرواح .

وقلت إننا نستمد معرفتنا عن طريقتين هما : العلم الذى ييصرننا بها حولنا من عالم الحس أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخدام الآلات واجهزة الرصد والتتبع ، ثم السدين وهو ييصرننا ببعض ما في عالم ما وراء الحس أو عالم الغيب أو العوالم الأخرى .

وقال صديقى: كيف تكون السموات

سبع سموات

للدكتور محمد جمال الفدى

- ٤ - القمر .
 - ٥ - الكواكب السيارة .
 - ٦ - المذنبات .
 - ٧ - الشمس .
- (وهى نجم متوسط القدر من نجوم السماء التى تكاد لا نحصر عددها) .
- وتكون هذه الأجرام فى مجموعها ما يسمى المجموعة الشمسية . ولكل منها غلك أو أنلاك ، ولكل منها سلوك ووظيفة وخواص ..
- قال صديقى : وكيف يكون غلاف الأرض الجوى سماء ؟
- قلت ورد ذكره فى القرآن فى عدة آيات ، منها قوله عز وجل :
- ١ - « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء » - الروم (٨) .
- ٢ - « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » - الحجر (٢٢) ..
- والسماء هنا ولا شك هى غلاف الأرض الجوى .
- واهم من ذلك كله أننا على الأرض اشبه شىء بركايب سقينة فضاء سقمها هو الغلاف الهوائى ، وقد

الكافرين بمثل هذه الحقيقة التى يعرفونها فيقول :

« أو لم ير السفين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

— الأنبياء (٢٠) ..

والرتق والفتق التحام ثم انفصال تنجم عنه اجرام السماء من السدم .

ويقرن القرآن السموات والأرض فى كل الآيات ، بل ويقرر فى بساطة عدم اختلاف الأجرام من حيث تجانسها وطريقة سبجها وذلك دليل وحدانية الخالق الذى نستقيه من علم الفلك .

« الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور .. »

— الملك (٣) .

قال صديقى : فما السموات السبع يا ترى ؟ قلت : الغالب (والله أعلم) انها تحديد للتنوع وليس للكم . وما السموات السبع التى ترتفع فوق رؤوسنا سوى :

- ١ - الغلاف الجوى .
- ٢ - الشهب .
- ٣ - النيازك .

أمسكته الأرض بقبضة جاذبيتها الكبيرة ولم تسمح له بالتسرب إلى خضم الفضاء المترامي الأطراف ، بل بقي من حولها يؤدي من الوظائف والمنافع لأهل الأرض ما لا يحصى ولا يحصى . وهذا كله لا يمكن أن يتم لجرد الصدفة ، بل عن تدبير ومعرفة ويتبين عبر عنه القرآن في مثل قوله تعالى :

«وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون» - الأنبياء (٣٢) والذي يدرس آيات الخلاف الهوائي عليه أن يتخصص في دراسة الطبيعة الجوية تخصصا دقيقا ليرى أن تلك الآيات تكاد لا تحصر . فهل الذين صمموا لنا استق سفن الفضاء استطاعوا أن يجعلوا لها العديد من الفوائد أم قصروا أمرها على عدد مجمل ومحدد من الوظائف ؟

مثل حماية ركاب السفينة من أهوال الفضاء مثلة في الأشعة الكونية والشهب . أما الفيازك فهي لا تزال أخطر ما يكون على سفن الفضاء إذ تدمرها تدبيرا .

وقال صديقي : وهل هذا كله يروق رجال الدين . أو يتمشى مع ما يقوله بعضهم ؟

قلت : نعم فقد آن الأوان لندخل تلك الأفاق الواسعة التي فتحها أمامنا عصر العلم في التعليل على آيات الذكر الحكيم المتصلة بعلوم الكون ولا نقف جامدين عند حد ما أدمسناه الاقدمون .

وان أغلب العلماء اليوم يؤمنون بوجود اله قوى مدبر خالق ، ولكنهم لا يؤمنون بأن هذا الاله هو نفسه الذي أنزل القرآن لعدم فهمهم لآيات الذكر الحكيم بالطريقة التي تشفى غليلهم وتغذي عقولهم ، أعني بالطريقة العلمية السليمة . ولم يعد الايمان مجرد تصديق وتسليم بل هو يقوم على الانتاع والحجة في هذا العصر ،

ولهذا تنادي بضرورة التعليل العلمي غير محلين الآيات ما لا طاقة لها به . أما الذين ينادون بعكس ما ننادي به ويتهموننا باطلا أنهم يؤثرون الجمود على الحركة ويحرمون القرآن من ميزة كونه معجزة خالدة لا يقف أعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافته بالذات . وربما كان لهم عذرهم في أنهم لا يعرفون العلوم . ومعنى الحقيقة العلمية ، ولا يفرقون بينها وبين النظرية العلمية . وقد شرحنا كل ذلك على صفحات الوعي الاسلامي . أما الذين يحملون الآيات ما لا طاقة لها به أو ينادون بالوقوف عند حد ما وعاه الاقدمون فهؤلاء هم السذجن يؤثرون الضموض ويحبذون الجبوت . وأنا عندما أقول مثلا أن السموات السبع اسم للنوع أنها التزم بما نراه ونرصده في كتاب الله المنظور وأعني به الكون . وليست هذه نظرية بل حقيقة علمية . فمن منا يستطيع في ظل تعريف السماء لفظة بأنها كل ما علانا وارتفع فوق رؤوسنا أن لا يقول أن الهواء سماء وأن الشهب سماء ؟!

نعم ان ما نراه من الشهب المنخفضة هو مجرد ما انحرف منها عن مساره الكوني تحت قسوة جذب الأرض ودخل جوها العلوي فاحترق من شدة الاحتكاك مع الهواء بحيث لا تكاد تصل الى ارتفاع نحو ١٠٠ كيلو مترا حتى تكون قد تحولت الى رماد .

وتتحرك الشهب بسرعات فلكية بطبيعة الحال متوسطها نحو ٤٠ كيلو مترا في الثانية وهي تسبح في اسراب من حول الشمس ، شأنها في ذلك شأن المذنبات والكواكب .

وفي الحقيقة ان لفظ كوكب يشمل كل الأجرام حتى الشمس يقال لها كوكب . ولم يذكر القرآن الكريم شيئا عن السماء الاولى أو السماء الثانية أو الثالثة ... كما نسمع

أحيانا ... وإن السماء الأولى فيها آدم عليه السلام والثانية فيهما كذا ..

ولكن القرآن تحدث فقط عن السماء الدنيا أى القريبة منا وانها تزينا الكواكب وقد فهمنا مدلولها لأننا لا نرى أفراد مجموعات الشمس الأخرى نظرا لبعدها الكبير عنا . فأقرب مجموعة إلينا هى مجموعة قنطورس وهى تبعد عنا بما يزيد على أربع سنوات ضوئية .

أما مجموعتنا الشمسية فاننا نستطيع أن نرى كواكبها أو أغلب كواكبها وعلى رأسها الزهرة التى عرفها القدمون باسم (نجمة الفجر) أو (نجمة الصباح) ، و (نجمة المساء) .

والزهرة الميع اجرام السماء بعد القمر والشمس ، ويمكن رؤيتها أحيانا وسط النهار . وهى أحيانا تكون أول جرم نراه عقب الغروب لامعا فتمسبه نجمة المساء ، كما تبقى فى الصباح واضحة فى كبد السماء . ولعلها هى المقصودة فى قوله تعالى : **« والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب »** .

القبعة الزرقاء :

طالما ظن الناس فى الماضى أن القبعة الزرقاء بناء متناسك كالسقف من حول الأرض التى اعتبروها مركز الكون . وأضافت بعض العقائد أنه من فوق السماء يجلس الذين يدبرون أمور الأرض وما عليها ! ولم تتغير تلك النظرة كثيرا حتى عصر النهضة حيث كانت قد استحوذت الفلسفة الإغريقية على عقول الناس ولم يفكر أحد فى مخالفة أرسطو فيما ذهب إليه حتى ثبت بالرصد والتتبع فى أوائل عصر النهضة أن الأرض ليست هى مركز الكون ولا حتى مركز المجموعة الشمسية .

وعز ذلك على أهل الأرض فنادوا بأنهم يمثلون الكائن المفكر الوحيد فى

الوجود . ولكن اثبت حساب الاحتمال الرياضى فى هذا العصر أن مجرتنا وحدها (أو الطريق اللبنى أو الطريق التبانة كما يسميه العرب) فيها ما لا يقل عن ٢ مليون كوكب مسكون على غرار الأرض ، وأنا كلها اقترينا من مركز المجرة كلها كانت تلك الكواكب أقدم من الأرض ، ومن ثم فإن حضاراتها أعرق وأكثر تقدما . وهكذا مرة أخرى يخيب الظن ويتبين الإنسان أنه مجرد كائن صغير بمفكر على كوكب عادى من بين ملايين الكواكب الأخرى الأهلة بالسكان .

وتتعدد المجرات فى خضم الفضاء الكونى الفسيح ولا نكاد نعرف لها عددا . وهكذا تتعدد مجموعات الكواكب المسكونة فى الكون بحيث يعجز العقل عن وصفها أو تحديدها . ونحن نجد الاشارة لذلك فى مثل قوله تعالى فى سورة الفرقان آية (٧٧) :

١ - **« قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم »** .

٢ - **« يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن »** - الرحمن (٢٩) .

٣ - **« ... تسبيح له السموات السبع والأرض ومن فيهن »** - الأسراء (٤٤) .

والتسبيح التنزيه بعدم الخروج عن الناموس أو بالطاعة حسب الحال . وكلمة فيهن أنها تفيد مسائل بعض أرجاء السماء والأرض يسكنى للالقاء حيثما توفرت البيئة الطبيعية الملائمة والقسط الحرارى المناسب ، والماء الوفير ، كما هو الحال على الأرض . والغالب أن الذين تعرضوا لتفسير قول الله تعالى فى سورة الرعد (٢) : **« الله الذى رفع السموات بغير عهد ترؤنها »** .

لم يدركوا أول الأمر أن هذا ينطبق على :

١ - غلاف الأرض الجوى الممتد أو المرفوع الى علو نحو ألف كيلو مترا

فوق سطحها . والسر في رفعه هذا هو أن الغازات (ومنها الهواء) صفة الانتشار لتبلا الفراغ المعرض لها . وعلى هذا النحو ينتشر الهواء فوق الأرض محاولا التشرب الى خضم الفضاء الفسيح تبعاً للصفة التي اكسبه الله اياها وهي صفة الانتشار إلا أن جاذبية الأرض تحول بينه وبين ذلك وتمسكه وتشده الى الأرض وبذلك تبقى عليه من غير أن يتسرب الى الفضاء كما حدث على القمر مثلاً حيث لا تكفي الجاذبية هناك لمعادلة قوى انتشار الغازات . وهكذا أمسكت الأرض سقفتها .

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون »
— الأنبياء (٣٢) .

ولكن القبة الزرقاء كما سنبين هي مجرد ظاهرة ضوئية تحدث في غلاف الأرض الجوي ولا وجود لها كجسم صلب أو جسد مادي كما قد تبادر الى الأذهان .

ب — سائر الأجرام التي تسبح من حول الشمس وتتبادل معها قوى الجاذبية المتبادلة بينها وبين الشمس وقوى الطرد المركزية الناجبة عن حركة الدوران . عندما تقترب الأرض من مسارات بعض تلك الأجرام مثل النيازك أو الشهب يهوى بعضها الى الأرض متأثراً بجاذبيتها .

ولكن من رحمة الله بنا أن جعل الغلاف الهوائي حامياً لنا يفتت النيازك أو يحرق الشهب في مشارفه العليا فلا تصل إلينا الا فيما ندر . وفي هذا المعنى الرائع يقول القرآن في إعجاز أخاذ في سورة الحج الآية (٦٥) :

« .. ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه أن الله بالناس لرؤوف رحيم »

وظاهر من الآية الكريمة أن السماء تقع على الأرض بأذن الله .
والآن ما هي القبة الزرقاء ؟

تعاين أشعة الشمس المكونة من ألوان الطيف المعروفة (وهي الأحمر فالبرتقالي ، فالأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق ، فالبنى ، فالبنفسجي) ظاهرة التناثر في جو الأرض ، وذلك بواسطة جزيئات الهواء ونقط الماء العالقة في الطبقات السطحية وكذلك الأتربة . ولا ترسل الشمس هذه الألوان بكميات متساوية القدر ولكنها ترسل أكبر مقادير من اللون الأزرق . والمعروف في علم الطبيعة أن كمية الضوء المتناثر إنما تتناسب عكسياً مع الأس الرابع لطول الموجة المتناثرة أي تزداد بازدياد قصر طول الموجة . ولما كان اللون الأزرق من أقصر الموجات التي ترسلها الشمس وهو في نفس الوقت أغزرها قدراً في الحزمة الشمسية ، لهذا كله فإن الغلاف الجوي سريعاً ما يكتسب اللون الأزرق ويصير على هيئة قبة زرقاء من الضوء المنتشت .

وعندما يمر الضوء خلال الطبقات السطحية من غلاف الأرض الجوي (عند شروق الشمس وعند غروبها) تلعب الأتربة دورها وكذلك نقط الماء العالقة في السحب وتعمل على تناثر الأشعة ذات الموجات الطويلة مثل الحمراء أو الصفراء . وعلى هذا النحو يظهر الأفق بتلك الألوان المعروفة باسم الغسق أو الشفق وهي الألوان التي طالما تفتنى بها الشعراء ولا علة لها سوى تلوث طبقات الهواء السطحية بالأتربة الدقيقة العالقة فيه أو السحب الرقيقة السابحة فيه . وعندما يرتفع الناس وسط النهار بالصواريخ فوق هذه القبة ، أي فوق معظم الغلاف الهوائي تظلم الدنيا من جديد وتظهر نجوم السماء ولكن نظراً لأن الأشعة لا تضيء إلا إذا تناثرت في وسط شفاف كالهواء فإن الفضاء يبدو مظلماً باستثناء ما قد تحدثه تجمعات الكواكب في المجنيتوسفير . والله أعلم ..

تحليل الدعوة في عضد المكيها

الدكتور : عماد الدين خليل

ليس بإمكان أى مؤرخ أن يحدد الأبعاد الكاملة لطبيعة اللقاء الأول ، وما تلاه من لقاءات بين الوحي الكريم وبين محمد صلى الله عليه وسلم .. وكل ما ذكرته الروايات ، اعتيادا على رؤية الرسول وهو يتلقى الوحي ، أو أحاديثه القصيرة الموجزة بهذا الصدد ، لا يعدو أن يكون (وصفا) خارجيا للتجربة التى تخضع عنها البناء القرآنى المعجز .. وما دام الأمر فى امتداده وغيبابه يند عن المشاهدة المباشرة والفحص التجريبي باعتباره أمرا (غيبيا) ، فليس من السهل أن نخوض فيه ، كما أنه ليس من السهل أن نخوض فى أى من الأمور الغيبية التى لم يتح لأجهزتنا الحسية والعقلية التعامل معها والاحاطة بأبعادها علما . وكل المحاولات الشرقية والغربية التى جهدت من أجل تحليل تجربة (الوحي) تحليلا يخضعها فى نهاية الأمر للمعرفة البشرية المحدودة ، وقعت فى الخطأ من حيث أنها اعتمدت الظن والتخمين فى مسألة من أخطر المسائل الغيبية .. وأهم من ذلك هو ما تخضع عنه هذا الأسلوب الإلهي فى تعليم البشرية والذي يعد من المصادر اليقينية للمعرفة .. فالقرآن — إذن — والحركة الإسلامية التى رافقته على خط متواز صاعد ، هما اللذان يجب أن ينصب عليهما البحث والتحليل . محاولة الاحاطة من أجل أن تكون المحاولة جادة وليست ضريا فى غير هدف ! لقد تنزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعقاب فترة زمنية

طويلة ، جاوزت الأربعين عاما ، كانت الإرادة الالهية تهيء فيها — كما رأينا — المهدات البينية والوراثية لتكوين (الشخصية) التي سيلقى على عاتقها حمل مسؤولية الرسالة الصعبة .. واعتقب ذلك تهديد نفسى وذهنى (مباشر) تهتل بتلك الأسابيع الطوال من العزلة والتأمل والتحنن فى غار حراء ، انشقاقا على الاعراف والمجارسات الجاهلية واندماجا فى الكون على مدهاء وبحفا عن (العلة الكافية) خلقه على هذه الصورة من الدقة والتنسيق والتناسك والنظام ، وسعيا وراء (الشريعة) التي تعيد الانسان الى الانسجام مع النواميس التي تتحرك بموجبها السموات والارض ..

وما لبث الوحى الأمين ان جاء ، فى اللحظة المناسبة والمكان المناسب اللذين اختارتهم العناية الالهية لارسال محمد الى الناس كافة .. محمد الذى لم يكن يعرف ، حتى هذه اللحظة ، المصير الذى ينتظره ، والدور الذى سيكلف بأدائه إزاء الناس والعالم . ومن ثم جاءت (هزة) الوحى مفاجأة مذهلة لهذا الرجل المنعزل فى الغار بعيدا عن الناس .. رافقها وأعقبها رعب وقلق وشك واضطراب وتهزق نفسى وحى قاسية جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم ينفذ المكان فى أعقاب كل لقاء وهو يرتجف خوفا واشفاقا ، من أجل ان يلجا الى سنده العاطفى الأول والأخير ممثلا بزواجه السيدة خديجة التي كانت عند حسن الظن دوما .. وما ان اطمان الرسول صلى الله عليه وسلم الى صدق رسالته فى أعقاب تأكيدات خديجة وابن عمها ورقة بن نوفل ، وإثر تكرر نزول الوحى عليه ، حتى بدأ — باهر من هذا الوحى — بالعمل .. كان عليه ان يدع مرحلة (العزلة) والانتقطاع ، وأن يمزق نثار الخوف والتلق والشك .. وأن ينطلق ليبدأ أولى اتصالاته من أجل بناء الطلقات الأولى من الدعاء ، أولئك الذين كتب عليهم ان يتحملوا شرف الانضواء الى اول قاعدة بشرية للدعوة الاسلامية فى تاريخها الطويل ..

واذا كانت الدعوة الجديدة تتحرك تحت شعار (لا إله إلا الله) بكل أبعاده الشاملة وآماته الرحبة ، فقد كانت تمثل رفضا حاسما على كل القيم الجاهلية ، وانقلابا جذريا على مواضع المعصر وممارساته ومطامحه القريبة العاجلة .. وكان ارتباطها بمراكز السلطة والنفوذ والتوجيه فى مجتمع كهذا أمرا محتما .. ومن ثم كان على الرسول صلى الله عليه وسلم ان يجتاز مرحلة من (العمل السرى) ، غير المعلن ، من أجل ان يرسى دعائم حركته ويضم اليها أوثق العناصر وأعمقها إيمانا ، ويسمى خلال ذلك الى مزيد من توثيق هذا الإيمان وتعميقه فى نفوس الدعاء .. فعليهم ستقع المسؤولية ، وعلى مدى قدرتهم على التحمل سيقوم البناء .. ولقد بدأ الرسول اتصالاته بأقرب الناس اليه ، من أجل مزيد من السرية والكتمان : الزوجة والصديق وابن العم وابن (المتبنى) .. ثم انطلق بعد ذلك فى توسيع نطاق الدعوة ، بمضده ساعده الأمين أبو بكر الصديق رضى الله عنه .. وما لبثت اللبئات ان ازدادت عددا ، والبناء ارتقاعا ، والأسس عمقا ورسوخا ..

استمر العمل السرى ثلاث أو أربع سنوات ، على خلاف فى الروايات ، والدعوة خلاله تسير ببطء شديد رغبة فى التركيز والاختيار البصير بالعناصر الأكثر جدارة وكفاءة ومقدرة على تحمل مسؤولية الإيمان ..

وكان القرآن الكريم ينزل خلال ذلك مؤكدا على قضية واحدة وأمر واحد ، لم يتجاوز الى (المسائل) الأخرى الا قليلا ، تلك هى قضية (العقيدة) التي

راح القرآن يحبك بأسلوبه المعجز وآياته البينات جوانبها الشاملة وينسأها المتشاك في نفوس أتباعه وعقولهم وضمائرهم ، ويحيلهم واحدا بعد آخر ، ويوما بعد يوم الى شخوص حية تتحرك بالقرآن ، فتكون حركتها تعبيرا حيويا واقميا عن التصور الجديد الذي طرحه القرآن ، والذي جاء لينعكس بالضرورة على السلوك اليومي للإنسان المسلم .. وكلما تقدم الزمن بالدعوة الاسلامية وتزلزلت الآيات البينات لبناء العقيدة كلما نمت قواعد الدعوة الاسلامية وازدادت (تمثلا) لهذه الآيات ، الامر الذي جعلها تنمو بشكل مواز تماما لنمو البناء العقدي الذي يطرحه القرآن ذاته لكي يحرك به (واقع) النفس البشرية ويتعامل معها تعاملًا حركيا يرفض منطق الجدل واللاهوت والنظريات .

ولقد مرت هذه السنين الطويلة من مرحلة العمل السري ولم يتجاوز عدد الدعاة خلالها — كما رأينا — الخمسين رجلا وامراة ، وهو عدد قليل جدا اذا ما قورن بهذا الامتداد الزمني الطويل .. إلا أن التركيز والعمق الذي يتميز به كل واحد من هؤلاء ، جعل المنتمين الى الاسلام قادرين ، بعد قليل ، على تحمل الضغوط الوثنية القاسية التي ستصب عليهم من أجل فتنهم عن دينهم : تعذيبا واضطهادا وقتلا ونفيا وسخرية وقطيعة واحتقارا .. وعلى تجاوز (المحنة) السوداء وهم اصلب عودا واعمق ثقة واشد إيمانا .. وفي جوارهم آيات القرآن تشد أزهم وتعمق يقينهم الجديد .. والرسول صلى الله عليه وسلم يقودهم من ساحة الى ساحة صوب مشارف الفوز والانتصار . ولا ريب أن اعتماد المقاييس المادية — كما فعل عدد من المستشرقين أمثال كيرمر وجرمه وغيرها — لفحص الدوافع التي قادت المسلمين للانتماء الى الدين الجديد أو الى أية عقيدة أو دين ، أمر يرفضه واقع (التجربة) في أبعادها الشاملة الرحبية ، فلم يكن البحث عن (الحق) ، والتثبيت في الانتفاء اليه ، أمر معدة تبحث عن طعابها وجسد يرنو الى الاشباع ، بقدر ما هي مسألة نفسية متكاملة يلعب فيها نظام الروحي واليقين الفكري والقناعة الذاتية دورها الأول والأخير ، بحيث أن سائر الامور الأخرى الحسية والجسدية تجيء ثانوية بالنسبة لهذه العوامل الأساسية ..

هذا على المستوى النفسي ، أما على المستوى التاريخي ، فإن هذا المقياس (المادي) الذي أخذ يشيع في العقود الأخيرة ، كإسقاط معاصر على الوقائع التاريخية الماضية ، سرعان ما يتهاوت بمجرد القساء نظرة متأنية على قوائم المسلمين الأول الذين كان أكثرهم — كما يقول صالح العلي — من التجار ورجال الطبقة الوسطى ، ومن كانت لهم عشائر تحميهم وتدافع عنهم . بل حتى وجود الحلفاء والمستضعفين في الاسلام ، لا ينفض دليلا على صحة هذا الرأي ، إذ أن هؤلاء نالوا كثيرا من الاضطهاد بسبب عقائدهم ، ومنوا بكثير من الآمال اذا تركوه ، فرفضوا وأصروا على التمسك بالدين الجديد ، مما يدل على أن دافع العقيدة هو الذي كان يدفعهم الى اعتناق الاسلام . والواقع أن الروايات اشارت صراحة الى دوافع بعضهم ، فعثمان بن مظعون كان من قبل ظهور الاسلام من الباحثين عن الدين ، وسعيد بن زيد بن عمرو هو ابن الرجل الذي كان حنيفيا يبحث عن دين إبراهيم ، وخالد بن سعيد بن العاص اعتنق الاسلام لأنه رأى نفسه في المنام على حافة هاوية من النار يدفعه اليها أبوه ، ويدفعه عنهما رجل آخر لينقذه منها . ويمكن تفسير ذلك بانشغال عقله الباطن في الامور الدينية واعتناقه الاسلام لاعتقاده بأن فيه المنجى والمخلص . أما عمر بن الخطاب

الذى أسلم بعد هذه الفترة فقد أسلم لتأثره من سماع آيات القرآن ومن رؤية
أخته تناذى(١) .

ترى ؟ كم من المسلمين قادتهم الى الاسلام ، تلك الهزة الوجدانية ، التى
أحدثتها آيات القرآن الكريم الساحرة المعجزة وهى تتلى عليهم ، وتفصل
ضمايرهم وتزيل رين قلوبهم وتعيد تألق الذكاء الى عقولهم ، ونور اليقين الى
بصائرهم وأفئدتهم ؟ وهل بعد هذه (الهزة) الشاملة التى تنقل الانسان من حال
الى حال تفكير (منفعى) محدود فى ايماء تمثلىء طعاما ، وجيوب تفيض فضة
وذهبا ؟!! ما الذى دفع عثمان بن عفان ، وهو فى قمة قريش غنى ومكانة وإيمان
ومحبة وجاها ، الى أن يتمرّد على جاهليته ويقف ، فى لحظات الدعوة الاولى ،
الصنعة الغامضة ، الخطيرة ، بمواجهة قومه وعشيرته ، رافضا الفنى والمكانة
والجاه والمحبة ، مختارا بدلا منها الفقر والاحتقار والزراية والخوف والكراهية ؟
حتى أنه ليستين بمسايط عمه وهى تنزل على ظهره من أجل أن يعود ثانية الى
خطيرة الآباء والأجداد ؟ وما الذى دفع ابا بكر - وعشرات غيره - الى أن
ينفقوا من أموالهم الخاصة التى سهرؤا وكدحوا على جسمها وتنبيتها ، ينفقونها
حتى آخر درهم ، حتى أن الرسول ليسأل رفيقه الصديق : وما الذى أبقيت
لعيالك يا أبا بكر ؟ فيكون جوابه : أبقيت لهم الله ورسوله !! وما الذى دفع
سعد بن أبى وقاص ، الفنى المدلل ، أن يرفض توصلات أبيه ، وقد أوقته رباطا ،
من أجل أن يرتد عن دينه ، حتى ليسلمها لهم من عناء ذلك الى المرضى فما يكون
جوابه إلا أن يقول للام التى هى أعز الاحبة على قلوب الأبناء : والله يا أم لو
رايتك تموتين مائة مرة ثم تعودين ثانية الى الحياة ما ردّيت ذلك عن ديني !!
وغير عثمان وأبى بكر وسعد كثيرون !!

لقد أنتمى الى الاسلام - كما يقول مونتغمري وات - شباب من افضل
العائلات ، خالد بن سعيد افضل ممثل لهذه الفئة ، ولكن هنالك آخرون غيره ،
وكانوا ينحدرون من أقوى العائلات وأشهر القبائل ، تربطهم روابط متينة بالرجال
الذين يملكون السلطة فى مكة ، وكانوا فى مقدمة اعداء محمد . ومن المهم أن
نشير الى أنه وجد فى معركة بدر أمثلة على الاخوة والآباء والأبناء والعلم وأبن
الأخ الذين كانوا يقاتلون فى صفوف كلا الحزبين . . ويمضى (وات) الى القول
بأن اهم فكرة نستخرجها من هذا (العرض عن المسلمين الأول) هو أن الاسلام
الفتى كان فى الأساس حركة شباب . إذ أن معظم الذين تعرف أعمسارهم لم
يتجاوزوا الأربعين عند الهجرة - وبعضهم كانوا أصغر كثيرا - وكثير منهم
كانوا قد اعتنقوا الاسلام منذ ثمانى سنوات . ولم يكن الاسلام ، من جهة ثانية ،
حركة رجال من طبقة مستضيفة من حثالة الناس أو من طفيلية صعايلك حطوا
رجالهم فى مكة . ولم يستمد الاسلام قوته من رجال الدرجة السسفلى فى
السلم الاجتماعى بل من أولئك الذين كانوا فى الوسط(٢) ثم ما يليك (وات)
أن يقع فى نفس الخطا الذى وقع فيه معظم الغربيين الذين يجدون أنفسهم
ملزمين بتطبيق مقاييسهم الخاصة على تاريخنا . .

والى أى دين كان ينتمى هؤلاء الشباب المترغون الاغنياء ومتوسطو الحال ،
الذين ينتمون الى أشهر القبائل المكية وأعلاها سلطة ومكانة ؟ الى الدين الذى
كانت جهلات كتابه الكريم تنتزل منذ بداياتها الاولى « العلق » والقلم وغيرهما (٣)
صواعق على رؤوس الاغنياء والزعماء تلك الآيات التى « . . نحدث بالاغنياء الذين
يقبضون أيديهم عن مساعدة الطبقات المعوزة وكثت على الإنفاق كثيرا ، كما

انها حاربت الزعامة الطاغية الباغية المعترزة بالقوة والمتكبرة عن الحق» (٤) وهكذا تبدو طبيعة الدعوة الاسلامية منذ بدئها عظيمة رائعة في حديدها على هذه الطبقة التي تتألف منها عادة اكثرية الجماهير ، وتحريرها ورفع مستواها (٥) . ولن تتكامل الصورة إلا بان نتجاوز ، في تحليلنا هذا ، مرحلة الدعوة السرية الى المرحلة المكينة عامة لنرى في الجهة المقابلة الدوافع الحقيقية التي قادت المشركين وزعماءهم الى مقاومة الدعوة ، وهي دوافع لا تنصب على الجانب المادي محسب ، بل تمتد الى كل مساحات التصور والشعور والحياة الجاهلية ، وان كان للجانب (المادي) أهمية كبيرة بين هذه الدوافع إلا انه لا يمكن ان يغفل المساحة كلها ويوجب الدوافع الاخرى ، الدينية والنفسية والسياسية والثقافية عن اعين الباحثين . ذلك « أن مقاومة المشركين للإسلام ، رغم الجود الظاهر لديانتهم يمكن تعليقه بان دينهم ، وان لم يكن يلعب دورا كبيرا ظاهرا في حياتهم اليومية ، إلا انه كان متغلغلا في نفوسهم ومتعمقا في اللاشعور فيهم ، فهم يعيشون فيه دون ان يفهموه او يدركوه . كما انه لطول امد استقراره لم تكن هناك حاجة للتحدث به او الدفاع عنه . ولكن الاسلام بنفذه لدينهم كان تحديه موجها لا الى عقائدهم محسب بل الى ذاتيتهم وإلى كياناتهم الروحية ، فاندفعوا يذائعون عنه بقوة . وما زاد في قوة هذه المقاومة ، روح المحافظة التي تتجلى عند البدو بصورة خاصة . وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تبين اثر روح المحافظة في المقاومة غير المفكرة التي واجهوا الاسلام بها [وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا : ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم] (٦) . وما زاد في عنف مقاومتهم أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للوحداية كانت جديدة عليهم ، فلم يكن قد اتاهم من قبله رسول (٧) .

ولا ريب ان هذا الدافع اللاشعوري ، هو الذي يفسر لنا إصرار زعماء (الشرك) خلال تعذيبهم للمسلمين ، وضغوطهم ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعوا سب آلهتهم وشتم آباءهم واجدادهم وهو الأمر الذي كان يتكرر كثيرا في ميدان العلاقات الوثنية الاسلامية ، كما يفسر لنا تشبث رجل عاقل كابي طالب بدينه الوثني ، رغم حمايته المعروفة لابن أخيه ، بحجة أن هذا التغيير لا يليق برجل كبير موقر مثله . فتغيير دين الآباء والأجداد (عار) لا يلائم كبار رجالات مكة وشيوخها ، أولئك الذين كان يقود خطاهم إحساس (رجعي) متاصل في نفوسهم ، تعبر عنه الآية الكريمة : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » . . وغيرها كثير . .

ولعل من اسباب المقاومة كذلك — يقول دروزة — ما كان للزعامة الوثنية من دور خطير في المجتمع العربي حيث كان الزعماء — وخاصة الزعماء الأغنياء — يتمتعون بنفوذ السيادة . . ومنها ما كان من رسوخ عصبية التقاليد في المجتمع العربي ، وما استهدفته الدعوة من هدم كثير من تقاليد العرب الاصلية والفرعية ، او تعديلها : كالشرك على انواعه ، والاستشفاع باللائكة ، وما شاب الشرك من وثنية مادية ، وكالمصيبة الاجتماعية الضيقة وما كانت تتشدد فيه من حزبيات عائلية وقبلية (٨) وشؤون القبالة والمرأة والرقيق والتحرير والتحليل في كثير من الامور . . وخوف الزعامة القرشية وأغنياء مكة معا على ما كان لهم وللمكة من مركز ومنافع أدبية ومادية عظيمة ، بسبب وجود بيت الله في مكة وسدائتهم له . .

ثم هناك ما اثاره فيهم الإنذار بالبعث والقيامة ، والوصف المسهب للحياة

الأخرى ، الوارد في القرآن من عجب واستغراب ، لاسيما ان هذا لم يكن مما هو معروف بهذه الصراحة والاسهاب عند الأمم الكتابية التي كان لها اثر في افكار العرب ومعارفهم .. ولعل في تجريد الاغنياء والأثوياء من اسباب قوتهم ومكانتهم ، وتحقيرهم الدائم إثارة للسواد على الزعماء وتحريضا على عصيانهم فيما يأمرهم به من عدم الاستجابة الى الدعوة .. وقد كانت طبيعة النبي البشر ، من اسباب المقاومة كذلك .. إذ كان العرب يتخلون ان النبي لا بد ان يكون ذا قوى خارقة يفترق بها عن طبائع البشر ويستطيع ان يفعل ما لا يفعله سائر الناس من خوارق المشاهد .. فلما راوه مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وسمعوه يعلن بلسان القرآن انه بشر مثلهم .. جحدوا نبوته وكذبوا صلته بالله ، ونعتوه بالجنون والشاعر أو الساحر أو الكاهن (٩) . ونمضي في اسباب تفحص المقاومة الوثنية للدعوة ، فنجد (وات) يحدثنا عن مجموعة أخرى من الاسباب ، مؤكدا في الوقت نفسه دور الاسباب التي سبق ذكرها : « ان السبب الاساسي في المعارضة كان بدون شك ، ان زعماء قرشي وجدوا ان ايمان محمد بأنه نبي ستكون له نتائج سياسية . وكانت السفنة العربية القديمة تقول : إن الرثلة في القبيلة يجب ان تكون من نصيب أكثر الرجال حظا من الحسكة والحفر والعقل ، فلو ان اهالي مكة أخفوا يؤمنون بانذار محمد ووعده ، وجعلوا يستنصرون عن الطريقة التي يجب ان تدار بها شؤونهم ، فمن ذا الذي يحق له نصيبهم غير محمد نفسه ؟ »

ويمضي (وات) الى القول بان زعماء مكة كانوا من بعد النظر بحيث اتروا بالتناقض بين تعاليم القرآن الأخلاقية ورأس المال التجاري الذي كان عماد حياتهم .. كما كان العرب بطبيعتهم ، أو حسب تربيتهم محافظين .. ويقول الزهري بان سبب المعارضة ، بالإضافة الى مهاجمة الاصنام ، القول بان مصير اجدادهم الفل . ويرتبط احترام الأجداد هذا ارتباطا وثيقا بتقديس العادات والتقاليد القديمة . وبينما كان بعض المعارضين قوى نزعة فردية قوية ، فقد كان أكثرهم محافظة يعترف ببعض الولاء للجماعة ، فكثروا يرون اذن في نزعة الاسلام لإحداث انفصالات حادة في العائلة دليلا آخر على ان التخلي عن الطريق الذي سلكه الأجداد يؤدي الى نتائج وخيمة ، وربما بدا لهم ذلك جديرا بتهديم المجتمع بأكمله ، وكان هذا ما يحدث فعلا .. وما يلبث (وات) ان يخلص الى القول بان اسباب معارضة الاسلام — إذا وضعنا جانب كل مصلحة شخصية — كانت الخوف من نتائج السياسية والاقتصادية والنزعة المحافظة الصرمة ، وكانت المشكلة التي جابهها محمد لها جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية ، غير ان رسالته كانت في الاساس دينية بحيث انها حاولت علاج الاسباب الدينية الكامنة لهذه المشكلة ولكنها انتهت لمعالجة الجوانب الأخرى ولهذا اتخذت المعارضة اشكالا مختلفة (١٠) .

إن شعار (لا إله الا الله) الذي أمر محمد صلى الله عليه وسلم برفعه في وجه الجاهلية ، جاء انقلابا شاملا على كل المستويات الدينية والاجتماعية والفكرية والنفسية والأخلاقية والسياسية والسلوكية ، إذ هو شعار واضح بضرورة رد الأمر كله الى الله (الحاكم) و (المشرع) وتجريد الانسان مردا وجماعة ، من الخضوع لمقاييسه الجزئية القاصرة ، واتباع (الهوى) و (الظن) في كل صغيرة وكبيرة .

ولقد رأينا خلال عرضنا للطور العلني للدعوة ان جل كلمات القرشيين ومرتكزات حوارهم مع أبى طالب أو مع محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، من

أجل اقتناعه بالمدول عن دعوته ، ما كانت لتنصيب على الدفاع عن مصالحهم المادية ، بقدر تشبثها بمعتقداتهم وقيمهم ، كما نلح من خلالها ادراكهم الكابل لأبعاد عبارة (لا إله إلا الله) وخطورتها الشاملة إزاء وجودهم الجاهلى كله . ويمكن أن نذكر هنا — على سبيل المثال — رواية ابن سعد التى تقول إن وقدما من زعماء قريش ذهبوا الى أبى طالب ليلتمسوا اليه أن يكف ابن أخيه فاستدعاه وقال له : « يا ابن أخى ، هؤلاء عمومتك وإشراف قومك وقد أرادوا أن ينصفوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا اسمع !! قالوا : تدعنا وآلهتنا وتدعك والهلك ، قال أبو طالب : قد أنصفك القوم فأقبل منهم . فقال رسول الله : أرايتم إن أعطيتكم هذا ، هل أنتم معطى كلمة إن أنتم تكلمتم بها ملكتم بها العرب ، ودانت لكم المجمع ؟ فقال أبو جهل : إن هذه كلمة مريجة ، نعم وأبيك ، لنقولنها وعشر أمثالها !! فقال الرسول : قولوا (لا إله إلا الله) !! فاشمازوا ونفروا منها وغضبوا وقابوا وهم يقولون (اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) !! » (١١) .

فليست الحركة الإسلامية إذن حركة طبقة ضد طبقة ، فقد انتنى اليهسا أناس من شتى الطبقات . وسواء كانت هذه السمة (الطبقة) ناتجة عن تحرك الفقراء ضد الأغنياء ، كما يرى بعض الباحثين ، أو من الأغنياء لكبت ما يتحسسون منه رائحة ثورة شاملة سيقوم بها الفقراء ضد مصالحهم ومراكزهم ، كما أرتأى باحثون آخرون (١٢) . .. فان هذه الافتراضات التى ينقض بعضها بعضا ، تعود لكى تنقضى نهائيا بمجرد عرضها على (الواقعة التاريخية) نفسها . .. إذا ما أردنا البحث الموضوعى الجاد وإلا فان التخمين والاستنتاج والاستقاط المعاصر على التاريخ ، دون رؤية وارتكاز على أبعاد الواقعة نفسها يقودنا ولا ريب الى (إسرائيليات) من نوع جديد ، تتدثر بدثار العلم والموضوعية وما هى منها بشيء !!

بعد أن تم بناء القاعدة (الصلبة) للدعوة ، متهتله بأولئك الرواد الأوائل من المسلمين الذين انتموا للإسلام عبر سنيه الصعبة وغربته ، والذين علمتهم التجارب المقدرة على الصمود بوجه الضغوط مهما غلا الثمن ، والذين أنضجتهم حشود الآيات القرآنية التى كانت تنزل (على مكث) حيناً بعد حين . . أصدر الله أمره الى رسوله الكريم أن يتجاوز المرحلة السرية للدعوة صوب الهجرة والإعلان . . وهذا أمر لا بد منه لدعوة عالمية شاملة جاءت لكى تثبت وجودها المنظور فى الأرض العربية أولا ، وفى العالم المحيط ثانيا . . كل ذلك فى فترة لا تعدو ما تبقى للرسول صلى الله عليه وسلم من سنى عمره الحدود ! كان اجتذاب الرسول صلى الله عليه وسلم بعشيرته الأقربين فى أطراف مكة هو بداية العهد الجديد . وقد انتهى ذلك الاجتذاب الحاشد بصد مخزن عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإذاره المبين . . ومنذ تلك اللحظة انفجر الصراع الواضح المكشوف بين المعسكرين . . المشركون الذين استخدموا كل أسلوب ، والتمسوا كل وسيلة لوقف حركة الاسلام الى الأمام . . والمسلمون الذين لم يؤمروا بالعنف — طيلة العصر المكى — ثللا يتعرضوا لعملية إيادة تحقق للوثنية ما كانت تأمله وترجوه .

وقد بدأ رجال الملائ نشاطهم المضاد فى سلسلة من الاتصالات المبطنة بالوعد والوعيد مع أبى طالب ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما أعقبت — جبيهما — ممثلا ، وأعلن النبى عن موقفه الذى لا مهادنة فيه ولا مساومة ، فى كلمته

الحاسمة (والله يا عم) وجدت الوثنية نفسها مسوقة الى استخدام أساليب العنف والإضطهاد والحرب النفسية ، لوقف الخطر الجديد ، وانقضت كل عشيرة على ابنائها وعبيدها المسلمين تعمل فيهم تعذيبا وتحطيا للمعنويات واضطهادا ، ولم ينج الرسول نفسه من هذا البلاء النازل ، وهو وأصحابه صامدون صابرون للمحنة ، تسفدهم تجارب سنين طويلة من العمل والنمو العقيدى ، وتمنحهم المعنوية والثقة آيات القرآن البينات التى كانت تنزل فى قلب المحنة لكى ترغم المؤمنين الى آفاق الأمل واليقين بالنصر القريب .

والى جانب هذا وذاك كان الرسول ينفخ فى أصحابه روح الثبات والمقاومة ويرسم لهم بذكائه الثاقب ، وبإلهدى الإلهى ، الطرائق والأساليب التى تقترب بهم يوما بعد يوم من الهدف الذى كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وعد أصحابه ببلوغه مهما طال الطريق وعظمت المصائب .. ولم يكن التخطيط للهجرة الموقوتة الى الحبيشة ، والاتصال المستمر بالقبائل والوفود القادمة الى مكة ، والذهاب الى الطائف ، ولقاءات العقبة الثلاث إلا خطوات على الطريق .

وكما ازدادت المحنة وعظم البلاء ساقى الله الى الدعوة رجالا كبرا ، لهم وزنهم فى مجرى الأحداث وقدرتهم على المقاومة والتحدى والتغيير . ولم يكن إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما إلا أمثلة بينة على الإرادة المعجزة التى تسوق ، وفق منطقها وقضائها الذى لا راد له ، رجالا من قلب الجاهلية ، ومن ضميم زعامتها ، الى ساحة الحركة الجديدة ، ليسوا اتباعا عابدين ، وإنما قادة وزعماء يلعبون دورهم فى إيجاد نوع من التوازن فى القوى بين الدين الإسلامى الجديد والجاهلية يمكن الإسلام من أن يشق طريقه وسط ركلام من العوائق والمصاعب والآلام ..

وإذ شعرت قريش أنها أخفقت فى كل الأساليب التى اعتمدتها لوقف انتشار النار ، فقد ارتأت فى أعقاب اجتماع عقده زعماؤها أن ترفع سلاح (المقاطعة الشاملة) كمقاب (جماعى) للمسلمين وحباتهم من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، عليها تضعف قدرة اتباع محمد على المقاومة ، وتضعف حمايتهم ، الذين تشدهم اليهم نخوة العصبية ، الى أن ينفضوا من حولهم ويتركوهم وحيدين معزولين ، مجردين من الحماية ، وسط عاصفة الغضب الهوجاء التى اجتاحت صدور المشركين وساحات مكة .

إلا أن السلاح الجديد ينلم هو الآخر إزاء مقاومة المسلمين وقدرتهم المعجزة على التحمل ، وإزاء التركيب الاجتماعى فى مكة ، ذلك الذى دفع عددا من ابنائها الذين تربطهم بالعصبية بواحد أو أكثر من المحاصرين فى شعب أبى طالب الى أن يتحركوا لوقف هذه المظلمة ، وتمزيق الصحيفة التى سطرت فيها كلمات القطيعة ..

ويخرج المسلمون من الأسر الصعب بعد ثلاث سنين من العزلة والجوع والحرب النفسية .. وهم أصلب عودا ، وأغنى تجربة ، وأكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذى آكوا أن يسبروا اليه وراء رسولهم ، حتى ولو كلفهم ذلك انهيارا من الدماء ..

وكانت الأحداث تتلاحق والاضطهاد الوثني يزداد عنفاً وشراسةً ، ويزيده فتكا وإيلاماً ، وفاة سُنْدَيْ الرسول العاطفي والاجتماعي : الزوجة والعم ، وفشل رحلته إلى الطائف ، وكان إرادة الله كانت تمتدّ ، من وراء الظلام الذي إزداد عتمة وكثافة ، بالفجر القادم الذي لا ريب فيه . . ولن يكون ذلك إلا بالأسباب . . وهل بعد الأسباب التي منحها الرسول فكره وأعصابه وطاقاته وهوميه جميعاً ، بقادرة على أن تحقق (وعد الله) ؟! « ولقد كَذَّبَتْ رِسل من قبلك ، فصبّروا على ما كُذِّبُوا وأَوْفُوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله !! » (١٣) .



- (١) محاضرات في تاريخ العرب ٢٣٨/١ (الطبعة الثالثة) .
 (٢) محمد في مكة ص ١٥٩ - ١٦٠ .
 (٣) أنظر سورة الزخرف ٢٢ - ٢٣ . هود ١١٦ . الزمل ١١ - ١٢ . الإسراء ١٦ . الواقعة ٤١ - ٤٨ . الحاقة ٢٥ - ٢٩ . الهزلة ١ - ٤ . سبأ ٢١ - ٣٧ . غافر ٤٧ - ٤٨ . إبراهيم ٢١ . الأعراف ٦٦ - ٦٧ . الأعراف ٣٦ - ٤٠ . الفرقان ٢١ - الأتعام ١٢٣ . الفاشية ٣١ . الجن ٢٤ . النازعات ٢٨ - ٢٩ . النبا ٢١ - ٢٢ . وأنظر صالح أحمد الطي : محاضرات ٣٥٧/١ - ٣٥٩ .
 (٤) محمد هزة دروزة : سيرة الرسول ١٦٥/١ (الطبعة الثانية) .
 (٥) المصدر السابق ١٨١/١ - ١٨٢ .
 (٦) سبأ ٤٣ . وأنظر : الزخرف ٢٢ - ٢٤ . لقمان ٢١ . البقرة ١٧ . المائدة ١٠٤ . الصفات ٦٩ - ٧١ .
 (٧) الطي : محاضرات ٢٤١/١ - ٢٤٢ .
 (٨) أنظر تفسير ابن كثير لإيات سورة الأتعام ٣٣ - ٣٦ .
 (٩) أنظر بالتفصيل : دروزة : سيرة الرسول ١٧٢/١ - ١٩٢ .
 (١٠) محمد في مكة ص ٢١٤ ، ٢١٥ - ٢١٦ .
 (١١) الطيفات ٣٥/١/١ وأنظر المصدر نفسه ١٣٧/١/١ والجلاندري : أنساب ١٣٦/١ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤١ وابن الأثير : الكلب ٦٥/٣ .
 (١٢) أنظر عيد المزيذ الدوري ورفاقه : تفسير القرآن ص ١٥ - ١٦ .
 * صاحب المقال بحث شامل بعنوان « دراسة في السيرة » لم ينشر بعد .
 (١٣) الأتعام : ٣٤ .

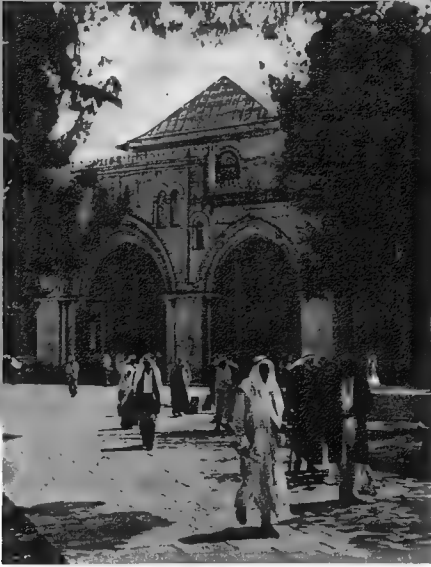


وْثِيقَةُ تَسْلِيمِ

بَيْتِ الْمُقَدَّسِ

لِلخَلِيفَةِ عَمْرٍ بنِ الْخَطَّابِ
وَأَثَرَهَا فِي دَعْمِ عَرُوبَةِ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ

لِلدُّكْتُورِ اِبْرَاهِيمِ أَحْمَدِ الْعَدَوِيِّ



جاء خروج امير المؤمنين عمر بن الخطاب من عاصمته في المدينة المنورة بالحجاز ليستلم بنفسه بيت المقدس في فلسطين شاهدا عمليا قديمه هذا الخليفة العظيم للأجيال العربية عن اصالة حقهم في هذه المدينة الخالدة ، التي اسسها اجدادهم العرب القدامى من اهل فلسطين ، ومثلا تطبيقيا لما يجب ان ينهض به القومة على الأمة العربية — خالفا عن سالف — في سبيل حماية مقدسات هذه المدينة من تسلس المتأمرين من اليهود الذين اشتهروا في التاريخ باسم دعاة الصهيونية ، وحتى تظل هذه المدينة العربية الاصيلية — كمهدىها ، دائما وابدا — مدينة السلام ، ذلك ان هذا الخليفة اختص بيت المقدس وحدها بهذا التكريم من دون المدن الأخرى التي فتحها المسلمون على عهده ، وبادر الى تلبية النداء الذي اعلن فيه اهل القدس ، وعلى راسهم البطريق صفرنيوس ، عن رغبتهم في ان يتسلم مدينتهم المقدسة الخليفة شخصيا ، دون غيره من قادة جيوش التحرير الإسلامية المجاهدة في الشام وفلسطين .

وكشفت سرعة استجابة الخلافة الإسلامية لمطالب أهل القدس عن تطور جديد في حياة هذه المدينة ، قوامه إمران هائل :

أولهما : أن كبار أهل الحل والعقد من الصحابة ، وهم الهيئة التنفيذية العليا التي ضمها في الدولة الإسلامية إذ ذاك (مجلس الشورى) قد أكدت بتأييدها خروج الخليفة لاستلام القدس ارتباط الأصول الدينية لهذه المدينة بالدين الإسلامي الجديد ، وأن واجب الدفاع عن تلك المقدسات وأصولها هو دفاع من السدين الإسلامي نفسه .

وثانيهما : أن الخليفة أراد أن يؤكد من جانبهِ أن تحرير القدس لن يتم إلا بتحرير فلسطين ، وأن الموقف بات يتطلب توليه القيادة العليا بنفسه لجيوش التحرير في الشام وفلسطين ، على أساس أن الجهاد في سبيل تلك الأجزاء هو جهاد مقدس يجب أن يسهم فيه على قدم المساواة جميع أبناء الدولة العربية الإسلامية ، كبيرهم وصغيرهم ، طلبا للعة في الدنيا ، والفوز بجنت النعيم .

وكانت التقارير التي وصلت من قادة الجيوش الإسلامية في الشام وفلسطين إلى عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة تحت على سرعة خروج الخليفة بنفسه لتحرير القدس وفلسطين . ذلك أن أعداء المسلمين هناك ، وهم البيزنطيون ، الذين عرفهم العرب باسم الروم ، قد صمموا أمام زحف الجيوش الإسلامية المظفر على الانسحاب من كبرى مدن الشام وفلسطين واتخاذ مدينة بيت المقدس قاعدة يعيدون فيها تعبئة قواتهم لإفساد التقدم الإسلامي ، باستغلال مناعة هذه المدينة المقدسة . وكان صاحب هزم الخطة البيزنطية هو (أرتيون) قائد الروم الذي اشتهر عند العرب باسم (الأرطوبون) ويأدر الخليفة عمر بن الخطاب بتوجيه عمرو بن العاص لمحاربة هذا القائد قائلا : « قد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب » . غير أن قائد الروم انسحب أمام جيش عمرو بن العاص عند أجناديين ولجأ بقواته إلى بيت المقدس ، حيث أفسح عن خطته في التصدي للمسلمين .

وأعلن أرطوبون الروم من قاعدته في بيت المقدس عن خطته الخبيثة في كتاب بعث به إلى عمرو بن العاص في أجناديين جاء فيه : « إلى عمرو : إنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد أجناديين فأرجع ولا تفر فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة » . وكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة يوضح له الموقف الجديد في القدس وفلسطين قائلا له : « إني أعالج حربا كرودا صدموا ، وبلادا انخرت لك فراك » . ولما كان الخليفة عمر يثق كل الثقة في تقارير عمرو بن العاص فإنه بدأ يستعد للخروج بنفسه لتحرير هذه البلاد التي ادخرها الله له كما ذكر قائد المحنة في أرض فلسطين .

وعزز هذه الاستعدادات في عاصمة الخلافة التقارير التي وردت بدورها من أبي عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية في الشام . إذ أراد هذا القائد أن يبعث جيوشه من دمشق إلى فلسطين لشد أزر عمرو بن العاص ، وعقد مجلسا حربيا للتشاور في الأمر ، ولتقرير الجبهة التي تتجه إليها تلك الجيوش . إذ كان أمام هذا القائد العام خطتان : أحدها ترى أن تتوجه الجيوش أولا لفتح قيسارية التي كان بقاء جند الروم فيها يحول دون انطلاق عمرو بن العاص من أجناديين ، والثانية : تنادي بأن ترحف الجيوش رأسا إلى بيت المقدس للحيلولة دون استقرار الأرطوبون وقواته بها .

واستقر رأي المجلس الحربي على ضرورة استشارة الخليفة عمر بسن

الخطاب في هذا الشأن حيث قال معاذ بن جبل لأبي عبيدة : أيها الأمير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله . فقال أبو عبيدة : أصبت الرأي يا معاذ . ثم كتب الى الخليفة شراحلا له الموقف . وجمع عمر بن الخطاب (مجلس الشورى) من كبار الصحابة ، وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة ، فقال على بن أبي طالب بعد مداولات واسعة تبلور فيها الموقف : « يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فإذا فتح الله بيت المقدس ، صرف وجهه الى قيسارية ، فإنها تفتح بعد إن شاء الله تعالى » . وعندئذ كتب الخليفة بهذا الرأي الذي استقر عليه مجلس الشورى لأبي عبيدة جاء نصح كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبي عبيدة »

« أما بعد — فإني أحمد الله الذي لا إله الا هو وأصلى على نبيه ، وقد وصلى كتابك تستشيرني الى أي ناحية تتوجه ، وقد أثار ابن عم رسول الله بالسير الى بيت المقدس ، فإن الله يفتحها على يدك ، والسلام » .

وهل جند المسلمين فرحا في الشام لزحفهم على بيت المقدس ، وتقدموا وعلى رأسهم القائد العام أبو عبيدة بن الجراح ، وحين اقتربت الجيوش الإسلامية من هذه المدينة أعلن سكانها العصيان على الأربطون ، وعرضوا على أبي عبيدة رغبتهم في تسليم مدينتهم الى الخليفة عمر بن الخطاب نفسه وبعث القائد العام بهذا الطلب الى الخليفة الذي عقد مجلس الشورى مرة أخرى قائلا لهم : « ما ترون رحمكم الله فيما كتب إلينا أمين هذه الأمة ؟ » واستقر الرأي على تلبية طلب أهل القدس ، واتم الخليفة الاستعداد للخروج الى فلسطين حيث بات لديه علم دقيق بأحوالها من مصيرين هامين : أحدهما من عمرو بن العاص ، والآخر : من أبي عبيدة بن الجراح ، وكل منهما يؤكد ضرورة حضوره بنفسه الى تلك البلاد التي ادخر الله فتحها على يديه ، وحين ترامت أنباء مسير عمر بن الخطاب بنفسه الى فلسطين انسحب الأربطون سريعا من بيت المقدس حيث عجز عن المقام بها لعدم تعاون سكان البلدة معه ، واتجه الى مصر حيث كانت إذ ذاك تحت سيطرة الروم .

وكان الطريق الذي سلكه الخليفة عمر بن الخطاب للذهاب الى بيت المقدس يسير وفق خطة رسمها بنفسه ، استهدف منها أن تبقى أمام الصحابة والتابعين وتأمين التابعين منهم بإحسان الى يوم الدين ، نموذجاً يهديهم سواء السبيل ، من أجل الحفاظ على هذه المدينة المشرفة ، وعلية مقدساتها الحليّة ، إذ جمعت تلك الخطة بين الاستعداد الحربي الكامل وبين الالتزام بالبساطة التامة البعيدة عن الزهو والخيلاء ، فغادر الخليفة المدينة المنورة متجها الى (أيلة) وهي العقبة الحالية باعتبارها مفتاح المخل الجنوبي لفلسطين .

ثم سار الى الجابية في مرتفعات الجولان الحالية ، حيث جمل من هذا المكان الاستراتيجي بين سورية وفلسطين مقرا لعقد مؤتمر حربي استدعى اليه قادة الجند بالشام للتشاور معهم في طلب أهل القدس ، ووضع أمثل السبل لإتمام فتح فلسطين .

وتوجه أبو عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية بالشام الى الجابية حيث تلقى الخليفة عمر بن الخطاب هناك وتعاقتا . ثم تواعد على الخليفة سائر القادة ، وجماعات من المسلمين حضرت لتحية الخليفة ، وصلى الخليفة

بالحاضرين صلاة الفجر وخطيبهم ، ثم تدارس مع القائد العام الوضع فى بلاد الشام حتى حضرت صلاة الظهر ، حيث جرت فى خشوع جليل ، رواه أحد شهود العيان قائلا : « فأنزل بلال فى ذلك اليوم ، فلما قال : الله أكبر ، خضعت جوارحهم ، واقتشعرت أبدانهم ، فلما قال : أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله ورسوله ، وكاد بلال أن يقطع الأذان ، فلما فرغ من الأذان صلى عمر بالحاضرين » .

وجرت وسط هذه المظاهر الجليلة جلسات المؤتمر الحزبي بالجابية تحت رئاسة الخليفة للنظر فى شأن القدس ، وحضر فى ذلك الوقت وفد شعبي يمثل أهالى القدس لمقابلة الخليفة عمر وتسليم بلدتهم له . وجاء تشكيل هذا الوفد على تلك الصورة دلالة واضحة على أن انسحاب الروم من بيت المقدس كان أمرا حتميا فرضته الرغبة الشعبية فى هذه المدينة على أولئك المستعمرين البغاة ، وشاهدا قويا على أن أهالى القدس وجدوا فى الدولة العربية الإسلامية الفتية ينبوعا دافقا يغذى أصولهم العربية ، ويهيئ لهم استعادة سالف أجدادهم ومدينتهم وأمنها ، وكان أهم مطلب ركز الوفد الشعبى عليه هو ألا يسلكهم مدينتهم أحد من اليهود ، الذين اشتبهوا بمحاولاتهم العديدة لاغتصاب هذه المدينة ، وإثارة القلاقل فيها ضد السلطات الحاكمة تحت ستار الاحتفاء بقدسية تلك المدينة ، وكان أخطر محاولات اليهود التى شهدوها أهالى القدس قبل الفتح الإسلامى ما حدث على عهد الإمبراطور الرومانى هارديان سنة ١٣٥ م ، إذ قاموا بأعمال شغب واسعة نوى القدس ، دفعت هذا الإمبراطور إلى الإسراع بنفسه إلى بيت المقدس ، وطرد اليهود منها كلية ، وبلغ الحق بهذا الإمبراطور حدا دفعه إلى أن يطلق على بيت المقدس اسمه الأول ، وصارت تدعى نسبة إليه باسم « إيلياء » .

وذلك رغبة فى سد السبل نهائيا أمام اليهود لاستغلال اسم هذه المدينة المقدسة . وظلت مدينة بيت المقدس تحمل اسم « إيلياء » حين خرج الوفد الشعبى من أهلها لمقابلة الخليفة عمر بن الخطاب ، وطلبوا منه أن يسجل هذا الاسم فى وثيقة تسليم مدينتهم له ، دلالة على خلوها تماما من اليهود ، وأصرارا منهم على ألا يسلكهم فيها أحد من اليهود ، وكان هذا المطلب الشعبى لأهل القدس هو نفس المطلب الذى أصر عليه البطريق صفرنيوس حين عرض تسليم المدينة المقدسة للخليفة عمر بن الخطاب شخصا ، ووافق الخليفة على مطالب أهل القدس وسجلها فى وثيقة محددة البنود ، أضاف إليها شروطا تنص على احترام مقدسات هذه المدينة وما يكفل لها السلامة أيضا من بقايا الروم فيها وعملاتهم . وجاء نص هذه الوثيقة التاريخية المؤكدة لخلو القدس من اليهود وارتباطها بأصولها العربية ، وكذلك بالدين الإسلامى الجديد على النحو التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

— هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان .

— أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلباتهم ، وسقيهماء وبريئها ، وسائر ملتها .

— أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم .

— ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود .

— وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن .

— وعليهم أن يخرجوا منها الروم والصوت (أى للصوم) .

— فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى ببيعتهم وصلبتهم فإنه آمن على أنفسهم وعلى ببيعتهم وصلبتهم ، حتى يبلغوا مأمنهم .

— ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قدموا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

— ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .

— وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذبة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

— شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان .

— وكتب وخضر سنة خمس عشرة .

وكشفت هذه الوثيقة التاريخية بنصوصها الصريحة عن حقيقتين راسختين . أولهما : أن اليهود لم يكن لهم وجود على الإطلاق في بيت المقدس حين

زحفت الجيوش الإسلامية على بلاد الشام ، وأن أهالي القدس أنفسهم كانوا يقفون قبل الإسلام بالمرصاد لدسائس منحرفي اليهود ، وهم ما زعموه بهتاناً

من حقوق لهم في هذه المدينة المقدسة ، وأن الإسلام حين امتد إلى أرض فلسطين جاء ليدعم هذه الحقيقة التاريخية ويؤكد لها بخصوص خلو بيت المقدس

تسليماً من اليهود .

ثانيهما : أن المسلمين يكتفون للمقدسات المسيحية في بيت المقدس نفس الإجلال الذي يكتفه المسيحيون لأنفسهم لتلك المقدسات ، وأن المسلمين يجدون فعلاً

في النصارى أقرب مودة إليهم ، وأهلاً للتعاون في رعاية المقدسات الدينية في هذه المدينة الخالدة .

وعاد الوفد الشعبي لبيت المقدس من الجابية يحمل هذه الوثيقة التاريخية ، ويستعد لاستقبال الخليفة في المدينة المشرفة ، وكان الخليفة يستعد لهذه الزيارة

استعداداً يجعل منه نموذجاً عملياً أمام المعاصرين وغيرهم من الأجيال العربية وغير العربية على مر العصور عن إيمان المسلمين بمكانة بيت المقدس في الدين

الإسلامي الجديد ، والتطبيق العملي لاحترام المسلمين لمقدسات هذه المدينة ، نعمد الخليفة أولاً إلى تأمين بيت المقدس وسائر ديار فلسطين من أي هجوم غادر

قد يشنه الروم إذ أقام حامية في إيلياء بقيادة علقمة بن مجزر ، وأخرى في الرملة بقيادة علقمة بن حكيم ، على حين ضم إليه في الجابية عمرو بن العاص وشريحيل

ابن حسنة وغيرهم من القادة العاملين في تحرير أرض فلسطين .

وفادر عمر بن الخطاب مقره في الجابية بمرتفعات الجولان إلى بيت المقدس في موكب جمع بين المهابة والجلال والبعد التام عن مظاهر الزهو والخلاء ،

ووصف أحد المعاصرين هذا الموكب قائلاً : إن الخليفة حين جاء ببعاد زيارة بيت المقدس أمر الناس بالركوب ، ومعظمهم من كبار قادة الجند والصحابة الأجلاء .

ولما هم الخليفة بالركوب على بعيره وعليه رقعة الصفوف قال المسلمون : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت غير بعيرك جواداً ، ولبست ثياباً لكان ذلك أعظم

لهيبك في قلوب القوم . وأقبلوا يسألونه ويطوفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك . ونزع مرتعته ، ولبس ثياباً بيضاء . قال الزبير : أحسبها كانت من ثياب

مصر تساوى خمسة عشر درهماً ، وطرح على كتفه منديلان الكتان ، دفعه إليه أبو عبيدة . وقدم له برزونا أشهب . فلما صار عمر فوقه جعل البرزون يهملج

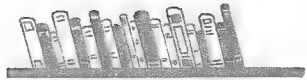
(أى يسير عجبا) . وعندئذ نزل الخليفة مسرعا وضرب وجه البرنقون وقال : لا علم الله من عليك ! ، هذا من الخيلاء . ولم يركب برنقونا قبله ولا بعده . ثم صاح بالناس قائلا : اقبلوني عثرتي أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر . ثم إنّه نزع البياض ، وعاد إلى لبس مرقعته وركوب بعيره ، فملت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير .

ودخل موكب الخليفة عمر بن الخطاب مدينة بيت المقدس يوم الخميس الموافق ٣ مايو سنة ٦٣٦ م ، حيث استقبله زعماء المدينة وعلى رأسهم البطريق صفرنيوس ، وسط مظاهر الخفاوة من السكان جميعا . واستهل الخليفة زيارته بمشاهدة الأماكن المقدسة ، والكنائس الكبيرة في القدس ، حيث تولى البطريق صفرنيوس شرح تاريخ تلك المشاهد الدينية . وحرص الخليفة طوال هذه الزيارة على دعم حقوق المسيحيين في مقدساتهم وتجنب كل ما قد يثير الريب حولها . إذ تصادف أن حل ميعاد الصلاة ، وهو يزور كنيسة القيامة ، وسأل البطريق عن مكان يصلى فيه فلما أجابه البطريق : صل مكانك — أى الخليفة — خرج من الكنيسة ، وصلى في مكان بالقرب منها ، ولما أتم الصلاة قال للبطريق : أيها الشيخ ، لو صليت في كنيسة القيامة لاتخذها المسلمون معبدا لهم .

وكان الخليفة حرصا أيضا في تلك الزيارة على مشاهدة معالم المسجد الأقصى الذي حل له صورة واضحة عن الرسول الكريم ليلة الإسراء والمعراج وكذلك مشاهدة الصخرة المقدسة . وتكرر وقوف الركب في عدة أماكن التيسر على البطريق نفسه أنها المسجد الأقصى ، ولكن الخليفة أعلن في كل مرة أن أوصاف تلك الأماكن لا تنطبق على ما تعيه ذاكرته من الأوصاف التي نقلها عن الرسول الكريم . وكان موقع المسجد الأقصى والصخرة المقدسة قد تعرضت للإهمال في الأيام الأخيرة من حياة القدس في ظل استعمار الروم ، وغدت بقعة تغطيتها القليلة . وحين اقترب الركب من هذا المكان ، بدأ الخليفة فحص معالمه بنفسه ، وتأكد أنه المكان المبارك . وعندئذ أخذ الخليفة — كما وصف أحد المرافقين له — يحثو القمامة في كبه ويذهب ليلقيها في وادي النار (تدرون) الواقع شرق المكان ، فاعتدنا به وحوثنا كما حدث مرات كثيرة حتى ظهر المكان وتطهر واتضحت معالمه ، كما ظهرت الصخرة المباركة وتطهرت .

وأمر الخليفة ببناء مسجد في هذا المكان ، بحيث كانت الصخرة في الخلف ، ولتكون القبلة في صدر المسجد ، دفعا لأية شبهات قد تثار حول هذا المسجد الإسلامي . وشرح الخليفة ما قام به مؤكدا أنه جعل رائده « كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورنا » ثم أضاف الخليفة قوله « فإنا لم نؤمر بالصخرة ، ولكننا أمرنا بالكعبة » .

وصلى الخليفة بالحاضرين ، بعد أن أمر المؤذن بإقامة الصلاة ، وقرأ سورة (ص) وسجد فيها ، ثم قام وقرأ في الثانية سورة (الإسراء) . وجاءت تلاوة هذه الآيات البينات إعلانا رسميا عن ربط الأصول الدينية للقدس الشريف بالدين الإسلامي الجديد والقومة عليه من أبناء الأمة العربية ، وأمضى الخليفة عشرة أيام في القدس ، قام فيها بأعمال جليلة غدت تكون العهد الجديد للقدس في ظل حماية العروبة والإسلام ، كما ترك في يد أبناء هذا البلد الشريف وثيقة تاريخية تدعم حقهم في صيانة بلدهم ، وجعلها على مر العصور مدينة عربية خالصة ، رائدها — كما كانت منذ نشأتها على يد سكانها من العرب القدامى — أن تكون « مدينة السلام » .



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض

معجم الفقه الحنبلي مستخلص من كتاب المغني لابن قدامة

اصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت الجزء الاول من هذا المعجم ويقع في (٥١٦) صفحة من القطع الكبير ، وينتهي بأخر حرف الشين ، ويمين هذا المعجم القارئ على مراجعة احكام المذهب الحنبلي حيث رتب خلاصات كتاب (المغني) بترتيب الف بائي بحسب عناوين الأبواب وينظر صدور الجزء الثاني قريباً ان شاء الله .

الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي

رسالة استعرض مؤلفها فيها ناحية مهمة من نواحي التنظيم التالفني والطبعاعي ، وقد عني فيها بإبراز المشكلات التي تعترض الفهرسين والمجمعين عند ترتيب المفردات والركيبيات ، وخاصة في اللغة العربية ، هذه المشكلات التي فرقت طرق الترتيب اثنتان ، هني كاد كل فهرس او معجم ان يكون له طريقته الخاصة في الترتيب ، فاستخلص القسوتان التي تحصل تلك المشكلات ، وتصور المبلين في هذا الميدان بأسباب الخطأ والاختلاف .

وقد حاول المؤلف ان يصل حاضر هذا الفن — فن الفهرسة والتعجيم — في آدابنا بمأخذه ، تبين مجهودات العلماء المسلمين ، وسيقم المقليم في هذا الميدان ، وكيف كانت لديهم معاجم مكتوبة الترتيب والتنظيم في اللغة وسائر العلوم في الحيوان ، والنبات ، والأغذية ، والبلدان ، والتراجم وغير ذلك .

وقد دعما المؤلف الى الالتزام بالفهرسة الهجائية المنقصة لكل ما يصدر من المؤلفات والمجلات العلمية خدمة للباحثين ، ونيسيرا على المراجعين .

الكتاب من تليف الأستاذ محمد سليمان الاشتر أمين مكتبة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت ، ونشرته دار البحوث العلمية بالكويت ، والدار العلمية ببغروت .

١٠٠ يوم في الكويت

هذا الكتاب المبتع عن دولة الكويت يقدم لنا صورة نابضة هية تتسم بالانصاف من شمع صغير في عدد سكانه كبير في آماله ، عميق في تأثيره الحضاري ، مكثف مفاير ، يحول الذهب الى هضارة ، والى مبادئ انسانية رائمة ، والمؤلف الأستاذ كابل هباهه يسجل بقلمه الاحداث ، والامكان ، والاشخاص ، والاشياء التي شاهدها في مدى ١٠٠ يوم . وهو لا يكفي بالتسجيل الخارجى لما يرى ويسمع ، بل هو يمتاق الاشياء بقلبه ، وعقله ، ومشاعره ، ثم يفرز ذلك كله في وجهة نظر واضحة .

والكتاب يقع في ١٦٠ صفحة ، ومن نشر دار النشر للجميع (شارع التل الكبير — الاسكندرية .



لابى القيم الكبيسى

(الانانية) قد استحكم امرها ! جاعلة كلا فى يديائه
والمضاد لهذا الداء لديك ، وهو مجرب ومضمون أن
« تحب لآخرى ما تحب لنفسك »
فنحن احوج ما نكون إليك

(٢)

الدعاوى المريضة تكاد تصم اسماعنا .. لقد جف (اللعاب) مدلها بعسل
القول :
إن قسورة (الامعاء) باتت تورقنا !!

فهل من (يد) خفية تطرق الباب ؟ مشبعة بتعاليمك دون ان تعلم (اليسار)
ما تفعله (اليمين) ؟
نحن احوج ما نكون اليك ...

(٣)

(مراهم) القوم نكتت الجرح وزادت البلاء .. وكم .. كم وقف (العلم) !!
دون اسرار حائرا ؟! إن عين (قتادة) القرن لا زالت دونها براء
ذلك لان الكف اعنى (كفك) لم تمسحها !
صحيح انهم يسملون ، ويحوقلون !
لكنما شقان بين ميسل وميسل !
فنحن احوج ما نكون اليك ...

(٤)

نطبخ (الحمص) كتلك المعجوز .
ونخسر الوقود ! نعلل الصفار
ولكن دونها جدوى !! فيقلبون (القدر) عن (حصي) شجيد !
ويبدا (الهياج) حينما يخرج الاسد من (الطفل) الوداع .. يمزق (القدر)
ويصنع الرغيف .. ولكن دونها جدوى !!
ويفحص (التراب) بارجل .. تهربت
من كذب الوعود ! وكثرة العقود ... ويبدا السؤال :
متى يا (امنا) نشبع ؟ .. متى نشبع ؟؟
متى ما (عمر) يرجع
متى يرجع - إذا انتصر الذي قرر وطبق حينما قرر
(ليس منا من بات شبعان وجاره جائع)
فنحن احوج ما نكون اليك ...

(٥)

لم نعد نرى (الخيط) الأبيض من (الخيط) الأسود !!
وإن كانت (زرقاء اليمامة) من جزيرتنا ! لم نعد نرى (المسجد)
الذى اسس على (التقوى) لتمييز (ضرار) فحرقه كما فعلت
إن (الدوارس) قد انتبت (اضرة) فخمة ضخمة ! تملوها
(السرج) والقناديل !! وكل من تحتها صار (القطب) المتصوف !!
وإذا قلنا إنه : خروج سافر .. قالوا : إنه من خصوصيات قبور الصالحين !
ثم قالوا : ربما إنه مخصص أو مقيد أو منسوخ ...

وهكذا قد أدخلوا (ربما) على كل ما لم يحتملها .. واعتقها الناس !!
حتى صار (الحق) الذى قلت فيه (جاء الحق) كالشامة البيضاء فى الثور
الأسود !!

لقد انتعش (الباطل) بمصل (ربما) وقامت (الوثنية) بدواء (المخصص)
و (المقيد) و (المتسوخ) .. فأينك لتقول ثانية (جاء الحق وزهق الباطل
إن الباطل كان زهوقا)
وأخشى أن يشيعوا بإغرائهم من أنك (مسيلة) !! فيصدق الناس ! وليس
ثمة مانع من أن يقولوها
وعرق حياتهم مرهون فى (القبر) الكبير ، وبيع (القطع) الخضراء !!

(٦)

نحن أحوج ما نكون إليك .. ليرك المسلمون لا غيرهم .. هؤلاء الذين
انقلبوا الى الأرض من (السمينة) و (الكسل) ..
ليروك وقد انتفضت بعد (صلاة) العصر ! كأنما أقمى بين ثوبك وجلدك !
لا لشيء من الحشع والطمع !!
وإنما لأموال أنت .. فخفت أن تحبس أطول فيحبسك الله !
فأين أين أهل الفنى والثروات !!
إنهم هم المسؤولون عن كل خارج على هذا الدين متها إياه (بالراسمالية)
القاهرة !!

أينك لتقول لهم فلم يعودوا يصدقونا :
إن ديننا دين الإنسان المعزز المكرم
وإن امرأة دخلت النار بهرة حبستها !
وإن رجلا دخل الجنة بقلب سقاه !

(٧)

الجدار القوى المكين قد تصدع ! وكثرت فيه (الحشرات) !
الغناكب ، والعراصير ، وإبو بريص ، والخفافى من اصدقاءنا الذين لا بد
منهم !!
فنحن أحوج ما نكون إليك .. تعبد البناء (بمداميك) : (المؤمن للمؤمن
كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) نحن أحوج ما نكون إليك ...

(٨)

نحن أحوج ما نكون اليك ...
لتقول (لآلف) (عمير) (١) : ليس كذلك .. إنما جئت لكذا !!

إن (المظاهر) تكاد تسحقنا .. لقد تصلبت فصار (قواقع) سميكة !!
 قتلت (التسخ) وحبسته عن (الخروج) .
 فمعدنا : كل من كور (عمامته) فهو شيخ الإسلام وإن كان أجهل جاهل !
 وكل من حرك (شفتيه) فهو التقى التقى .. الورع !!
 وكل من (همهم) بالقرآن فهو أصلح من يصلح للشهادة !! ولو خالف ألف
 عمر !!
 كثيرة تلك (المظاهر) كثيرة .
 وليس بيننا (حذيفة) ولا (عثمان) .

(٩)

لقد امتن الكثير على الناس بما هو ليس بشيء
 الانفتاح .. الحماهيرية .. وضع حجر الأساس .. قطف القنّاج مع الممال !!
 والقوا الأضواء الكثيفة والدعاية العريضة والتي تفوق تكاليفها ضعف ما
 اشتغلوا به !!
 ما جمع أحدهم الخطب ! ولا نام أحدهم على الحصير ، ولا هبل أحدهم
 (اللين)
 وما تجول أحدهم لوحده في الشوارع !
 وما وقف أحدهم للصغير والكبير .. وما وما كثيرة كثيرة !!
 ومع ذلك كله لم تمتن على أحد ! وهل يمتن بشيء يزيد الإنسان
 رفعة .. إنه (التواضع) خلق كل كريم ، لم تمتن بل قلت بفخر .
 (أما عبد الله ورسوله ..)
 فسبحان من سماك (عبدا)
 وسماك (الرؤوف الرحيم)
 وسلام عليك سيدى .. يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حيا .



(١) مغير بن وهب الذي ذهب للمدينة ناوليا قلته صلى الله عليه وسلم منظارا يبداء ابنه
 الأسير .

مائدة الفارسي

ما الحياة

قال العلماء : ان جميع النبات والحيوان مركب من خلايا ، وكل خلية مركبة كيميائية من (كربون) و (هيدروجين) و (أكسجين) و (نيتروجين) فإذا تكونت هذه العناصر بنسب معينة كانت الخلية .
ولكن كون هذه الخلية بهذه النسب كما تشاء ، فلن تستطيع ولن يستطيع العلماء مجتمعين ان يبنحوا الخلية (الحياة) .
« أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره . أن الله لقوى عزيز » .

روح السماحة

اراد المهدي ان يغزو اهل الشام لخطا ارتكبه ، فقال له « ابن خريم » يا امير المؤمنين ، عليك بالتحايز والمعو عن المسء ، فلان تطيعك العرب طاعة محبة خير لك من ان تطيعك طاعة خوف .

الله

قال ابو سعيد بن ابي الخير الصوفي : اخذني شيخى من يدى واجلسنى فى إيوان ، ومد يده فأخرج كتابه وأخذ يقرأ ، ففتلعت الى معرفة الكتاب ، فلمع الشيخ هذه الحركة ، فقال لى : يا ابا سعيد : « ان مائة وأربعة وعشرين ألف نبي يعموا ليعلموا الناس كلمة واحدة هي (الله) فمن سمعها بالذنه فقط لم تلبث ان تخرج من الآن الأخرى ، أما من سمعها بروحه ، وطبعها فى نفسه ، وتذوقها حتى نفثت الى أعماق قلبه وباطن نفسه ، وفهم معناها الروحي فقد انكشف له كل شيء » .

الشجاعة الأدبية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا لا يبنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق اذا رآه أو شهده فانه لا يقرب من اجل ، ولا يبعد من رزق ان يقول بحق ، أو يذكر بعظيم » .

بين عثمان وأبى عبيدة

اختصم يوما عثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما ، فقال أبو عبيدة :

أنا أفضل منك بثلاث ، فسأله عثمان وما هن ؟ قال :

الأولى أتى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب .

والثانية : شهدت بدرًا ولم تشهده .

والثالثة : كنت ممن ثبت يوم أحد ولم تثبت أنت .

قال عثمان : أما يوم البيعة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى في حاجة ومهد يده عني . وقال : هذه يد عثمان بن عفان ، وكانت يده خيرًا من يدي . وأما يوم بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ، ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاستغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها . وأما انهزامى يوم أحد فإن الله عفا عني ، وأضاف فعلى إلى الشيطان ، فقال تعالى : « أن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم أن الله غفور حلیم » .

تأبين أبى بكر

قال على كرم الله وجهه في تأبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

« .. كنت كالجيل الذى لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف : كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدئك قويا في أمر الله ، متواضعا في نفسك عظيما عند الله ، جليلا في الأرض كبيرا عند المؤمنين ، ولم يكن لأحد عندك مطمح ، ولا لأحد عندك هواة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمننا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك » .

من تعاليم الامام على كرم الله وجهه ووصاياه للجنود

« إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم من قبل الاشراف وبسفاح الجبال أو أثناء الانهار ، كيما يكون لكم رداء أو دونكم رداء ، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصى الجبال ومنالكب الهضاب ، لئلا يأتيتكم العدو من مكان مخافة أو أمن ، واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعهم ، وإياكم والتفرق ، فإذا نزلتم فانزلوا جميعا ، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا وإذا غشيكم الليل فاحيلوا الرماح كفة - محبطة بكم - ولا تغفروا النوم إلا غاررا أو مضضفة » .

أرض السهلة

للاستاذ أحمد العفلى

المشهد الأول

فى منزل الخليفة عمر بن عبد العزيز بمشق

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (زوجة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز)
(وهى تشق بسكين بطيخة كبيرة فى وعاء من النحاس وقد تحلق حولها الصفار
من أبنائها وبناتها بينما بدا الكبار منهم ومنهن على استحياء وتباعد ..
أرايتم يا أولادى ! (صوت السكين)
أرايتن يا بنسات !!

الم اقل ما وجدت حياتى كلها فى البطيخ ما هو احدى حلاوة ، ولا احسن
نضجا إذا نضج من بطيخ هذه الأرض التى لنا فى السهلة .. تعالوا .. تعالوا ..
هيا .. المكان يسعكم جميعا فتحلقوا وكلوا معا .. ذلك ادعى للبركة والسرور ..
(حركة) تقدبوا .. تقدم يا عبد الملك يا بنى .. تقدم ..
عبد الملك (يتهم) : - دعيهم ولا تخافى على باسنا .. فاننا ارضى نفسى
كما تعرفين .

فاطمة (تبتسم) : - لا باس .. كلوا انتم جميعا ودعونى وعبد الملك لبطيخة
اخرى !

احد الأولاد (وفيه يغلىء بالبطيخ) : - وهل من بطيخة اخرى يا امه ؟

فاطمة : - كل الآن انت ، وتوكل على الله ..

الوليد : - لا باس .. لا باس .. انت دائما وعبد الملك تنفردان فى
الطعام .. « صوت المائدة » .

تمثيلية تصوّر عظيمة التقوى ورفعتها ..

- أحدى البنات : -- الحمد لله ..
بنت أخرى : -- وأنا .. شبعتم .. الحمد لله .
أحمد الأولاد : -- بعد سن واحدة أحمد الله .
ولد آخر : -- هيهات تدرك أصلاً غير سن واحدة ..
الولد الأول : -- ما شاء الله ! ذرية بن عبد العزيز كما تمنى لهم أخوال
أبيهم من آل الخطاب أصبحوا بلا عدد .. « ضحك » ..
فاطمة : -- هيا يا ابنائى الآن .. أحمدا الله وانصرفوا لثأبتكم
« حركة الأولاد خارجين » .
عبد الملك : -- « تتنهد » لم تاكل شيئاً ولم يتركوا لك
فاطمة : -- وهل تركوا لك يا أمّاه ! لا بأس يا أمّاه لا بأس ..
عبد الملك : -- وأبوك لم يدعوا له شيئاً ..
عبد الملك : -- أبى اليوم مشغول وأغلب ظنى أنه متأخر الى ما قبل
العصر بقليل .
فاطمة : -- وكيف عرفت ؟
عبد الملك : -- من كثرة الوافدين على الديوان اليوم .
فاطمة : -- أعاته الله .. أنهض الآن لبعض شأنى ..
عبد الملك : -- ألا تترشّين يا أمّاه !
فاطمة : -- العمل كثير يا بنى .
عبد الملك : -- أخواتى كبرن ويجب أن يعتدن معاونتك فى الأمور . إنى لا
أرى شيئاً اليق بالرجال من كسبهم من عمل أيديهم ، ولا أرى
أجمل بالمرأة من عنايتها ببيتها .

- فاطمة :** (تضحك قليلا) ولذلك يجب أن انهض .
- عبد الملك :** — لقد طالما نهضت يا أمه .. وآن أوان العمل لأخواني فمن يتهمان الآن للحياة وخير لهم أن يمارسن بأيديهن الآن ما هن مقبلات عليه ..
- فاطمة (تنهد) :** — معك حق ..
- عبد الملك :** — كيف ؟
- فاطمة :** — أمس عندما زارتنا عمى فاطمة بنت عبد الملك وغاضبها أبوك برفضه وساطتها من أجل الأرض التي كان اغتصبها أبناء أخى الوليد فى حصص اشتد بها الغضب حتى شملتني به — وماذا قالت لك ؟
- عبد الملك :** — وماذا يمكن أن تكون قالت .. دع عنك ذلك يا بنى .
- عبد الملك :** — ولكنى أناشدك الله أن تروى ذلك لى .
- فاطمة :** — قالت ! « تنهد » قالت لى تذكرى يا فاطمة يا ابنة أخى عبد الملك أن أحدا من أمراء بنى أمية لن يصهر إليك ولا الى زوجك ويناتك كثيرات فأين تذهبن بهن ..
- عبد الملك :** — استغفر الله العظيم ..
- نحن آل عمر بن عبد العزيز الى ربنا ذاهبون .. قبلنا حكمه ، ورضينا بأمره ونهيه والعاقبة للمتقين .. فلا تجزعى يا أمه ما يزال فى الدنيا بقية من الناس والطيبات للطيبين .. نحن وأبناء أبينا وعمومتنا هؤلاء شالت بنا نعالمتنا .. يحسبون أنهم بصهرهم يشرفونا ونحسب أنهم لو نالوا صهرنا لا قدر الله نالهم شرف لا يستحقونه ..
- دعى ذلك عنك يا أمه .. وتوكلى على الله .. عجيب .. هذا أبى جاء .. بنفسى أفديك يا ابتاه ! كم يبدو عليك من جهد شديد ! ها هو وصل « صوت خطواته »
- عمر :** (بصوت ضعيف) السلام عليكم .
- فاطمة وعبد الملك :** — وعليك السلام ورحمة الله ..
- فاطمة :** — ما بك يا أمير المؤمنين ؟
- عبد الملك :** — حسبك سوف تتأخر يا ابتاه .
- عمر :** — كنت أظن مثل ظنك حتى أصابنى مفص شديد والح على رجاء ومزاحم بأن أوجل القضايا واستريح .. أوصلانى حتى الباب ثم عادا ..
- فاطمة :** — سلمت يا أبا حفص .. ولكن .. !
- عمر :** — أحس بحرارة فى لهاتى وثقل فى أمعائى ..
- فاطمة (بعفوية) :** — اه .. لو كان بقى شيء ..
- عمر :** — ما لك سكت ؟ شيء من ماذا ؟
- فاطمة :** — لا .. لا .. بطيخة جاعنا بها المزارع من أرضنا بالسهلة كانت ناضجة حلوة .. لكن الأولاد لم يتركوا شيئا ..
- عمر :** (باسما) وانت .. ؟ هل أصبت منها شيئا ؟ وانت يا عبد الملك ؟
- عبد الملك :** — أصابنا السرور أمى وأنا برؤية الأولاد مسرورين بها ..
- عمر :** — وكانت بطيخة رائعة ؟

- عبد الملك :** — شيء لا يصدق .. هذه الثمار التى يؤتى بها من السهلة ..
قد أخطأت أنا حقاً فقد اشترت على المزارع أن يترك لنا بطيخة
واحدة ضخمة ثم يبيع الباقي .. فان الدار هنا لفى حاجة
الى أمور أهم من البطيخ وسائر الفواكه ..
- عمير :** (يتهم لنفسه) بطيخة ضخمة من السهلة .. لا بأس ..
لا بأس .. انركلتى أذهب واستريح .. (حركة)
- عبد الملك :** — معافى يا أبى .. انك لم تتم الا غراراً ليلة أمس فتم
ويحسن حالك ان شاء الله ..
- عمير :** — شكر الله لك يا بنى .. السلام عليكم
- فاطمة وعبد الملك :** — وعليك السلام ورحمة الله .. (حركة)
- عبد الملك :** — أراك تفكرين يا أمه ! لا تخشى شيئاً .. عارض اصاب
أبى ويزول .. وليست هذه أول مرة لا سيما بعد ان يطيل
سهر الليل ..
- فاطمة :** — صحيح .. صحيح .. لكن ..
- عبد الملك :** — لكن ماذا ؟
- فاطمة :** — وقر فى نفسى خاطر
- عبد الملك :** — وما ذاك يا أمه ؟
- فاطمة :** — أخشى ان يعيد أبوك أرض السهلة الى بيت المال فان فعلها
فلن يبقى لنا شيء أبداً .. انها آخر أرض بقيت لنا ..
- عبد الملك :** — تبقى لنا رحمة الله يا أمه فهى خير مما يجمع الناس ..
- فاطمة :** — يسترها الله يا بنى ..

المشهد الثانى

- عمر بن عبد العزيز :** — مالك تتشاغل عن هذا الحديث يا مزاحم ؟
- مزاحم :** (مولى عمر ومساعدته) : اى حديث يا أمير المؤمنين ؟
- عمير :** — سبحان الله .. اما كنت أكلبك فى أمر السهلة
- مزاحم :** — السهلة يا مولاي أرضكم وليس لكم سواها .
- عمير :** — لست أسألك عن وجود سواها أو غير ذلك ، وإنما
سؤالى الذى يهمنى .. أهى أرضنا أم لا ؟
- مزاحم :** — يا أمير المؤمنين .. المستشار مؤتمن
- عمير :** — ومن قال بغير ذلك يا مزاحم ؟
- مزاحم :** — إذا فأننت تكرّر الحديث والهواجس عن أرض السهلة
كانك تريد شيئاً وتتردد فيه .. السهلة أرضكم وحقكم ،
وليس لعميل أمير المؤمنين ، وأولاده كثيرون وبناته سوى
هذه القطعة من الأرض يعتاشون منها ، ويأكلون الفاكهة
كسائر الناس .
- عمير :** — دع عنك ما يأكلون وما لا يأكلون .. الأرض ليست لنا
- مزاحم :** — لأن هى إذا ؟
- عمير :** — سبحان الله .. انها أرض المسلمين ومالهم .

- مزاحمهم** : — لكلك أعدت كل أرض أبوك عبد العزيز الى بيت المال ..
 فهل لو لم يكن والد أمير المؤمنين واحدا من بنى أمية ، ألا
 ينقل الا يستطيع تخليف قطعة أرض واحدة لأبنائه .. أبى
 خلف قطعتين وكان رجلا بسيطا .
- عمر** : — صدقت .. لكلك نسيت أن أبى عبد العزيز بن مروان قد
 اتفق فى ولايته المعروفة ما يكفى لجمله فقيرا لو تعلق الأمر
 بجهوده وحدها ..
- مزاحمهم** : — وما دليلك على ذلك ؟
عمر : — ما دليلك أنت على عكس ذلك .. يا مزاحم ألم أوصيك
 بانك اذا شئت صحبتني فكن مع الحق على دائما .. يا مزاحم
 ما هذه الدنيا بدار بقاء .. امض الآن فاستخرج لى الصك
 الذى ملك أبى رقية تلك الأرض .. هيا ..
- مزاحمهم** : — نشدتك الله يا أمير المؤمنين .. فى هذه المرة لست
 معك ، اولادك وبناتك محتاجون وكثيرون فماذا تترك لهم ؟
- عمر (بكيا)** : — الى الله .. الى الله اكلمهم .. اكلمهم الى الله ..
مزاحمهم : — دع لى ما طلبت منى الى غد يا أمير المؤمنين .
عمر : — وتضمن لى العيش الى غد ؟
مزاحمهم : — (يتهدد) لا بأس .. الى غد .. ولكن لا تحاول امرا غير
 ما طلبته منك .

المشهد الثالث ..

نقصر على باب

- عبد الملك** : — من بالباب ؟
مزاحمهم : — أنا ذا مزاحم .
عبد الملك : — ادخل يا مزاحم .
مزاحمهم : — السلام عليك
عبد الملك : — وعليك السلام ورحمة الله .. ماذا جاء بك يا مزاحم فى
 هذا الوقت ؟
- مزاحمهم** : — امرأ اقلقتنى من أبوك أمير المؤمنين
عبد الملك : — خيرا ؟!
- مزاحمهم** : — يريد أن يرد آخر أرض لكم فى السهلة الى بيت المال ؟
عبد الملك : — فما قلت له أنت فى ذلك ؟
- مزاحمهم** : — ذكرت له كثرة أولاده وحاجتهم فجمعت عيناها ولكنه مصر .
عبد الملك : — (غاضبا) بشى وزير الدين أنت .. دعنى الآن امض إليه ..

المشهد الرابع ..

- فاطمة بنت عبد الملك (زوجة عمر)** : — يا بنى .. أبوك وضع رأسه الساعة
 لينام قليلا فى هذه القائلة .. ألا ترحم أباك يا عبد الملك ؟
عبد الملك : — يا أمه ، الأمر لا يحتل التأجيل .

فاطمـة : — لا قوة الا بالله .. ليس لابيـك من ليله ونهاره الا هذه الساعة يريح بدنه فيها .

عبد الملك : — أرجوك يا أمـاه ! أناشدك الله دعيني اذهب اليه ..

عمر (يستيقظ ثم ينادي) : — عبد الملك ! ماذا وراك يا بني ؟

عبد الملك : — ها هو استيقظ

فاطمـة : — قد أيقظناه بحديثنا

عبد الملك : — سامحيني يا أمـاه .. لا بد مما ليس منه بد ..

— هيا الآن إليـه فقد استيقظ ..

« خطوات عبد الملك » .

عبد الملك : — السلام عليك يا ابتاه .

عمـر : — أهلا بولدي ولعليك السلام ورحمة الله .. هاه ! ما لك

في هذا الوقت من عادة للقدوم عليـ ..

عبد الملك : — أمر من الحق يا ابتاه ، خشيت عليك فيه لو أعجلك القدر

لا سبحانه الله فلا تنفذه وأنت حي ، ولقد أعلم أن عمر بن

الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، حرص ودياؤه نازعة والقدر

يهم به في كل لحظة ، على أن ينفذ كل أمر يخشى فيه من

الله جلّ جلاله الحساب ..

عمـر : — أحسنت يا بني .. انك لمضأ قلبي بحديثك هذا غبطة

وسرورا فانت جدير بالثناء عليه دون الملامة ..

عبد الملك : — هذه الأرض في السهلة ، على ماذا عزمت بشأنها ؟

عمـر : — أوقد حدثك مزاحم ؟

عبد الملك : — أجل يا ابتاه .

عمـر : — إني رادّها إن شاء الله الى بيت المال ..

عبد الملك : — لا تؤخر ذلك يا ابتاه .. قم الآن ..

عمـر : — الآن الآن ان شاء الله ..

((بخشوع)) : — الحمد لله .. الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعنيني

على أمر ديني .. نعم يا بني .. أصلي الظهر ثم أصعد المنبر

فأردها للمسلمين علانية على رعوس الأئـهاد ..

عبد الملك : — ومن لك أن تعيش الى الظهر .. ثم من لك أن تسلم

نيكتك الى الظهر إن عشت .

عمـر : — انما أردت أن أرى مدى تصميـك .

لغزك الله وأرضاك وحفظك وصانك

هيا بنا الآن هيا ..

الآن أردها لأهلها وذويها

والى الله أترككم يا بـتى الأحيـة

انه مولانا وهو يتولى الصالحين .

ختـمام ..

من عبقة العرب

اسماعيل بن الفاسم

(أبو الفاسم)

اجيالنا الحاضرة والقادمة بأعلامنا العرب السابقين وما حصلوه بين جنوبهم من الطاقات الخلاقة ، حتى خلدت آثارهم وما تفتت عنها قرائحهم طوال ازمان وقرون طويلة .

يلزم مثلاً حين يتناول متفرنج أمضى بضعة أعوام في لندن ليحصل على درجة « الدكتوراه » في شمر شكسبير أو بايرون أو غيرها ، يلزم أن يتساول بالبحث والفرس شاعراً عربياً فحلاً مثل « امرؤ القيس » أو « عمر بن أبي ربيعة » فنحن العرب أكثر حاجة إلى من يجلو عبقريات أعلامنا ، أكثر من حاجتنا إلى معرفة أعلام الغرب .

في هذا المقام ، وعلى مائدة الدعوة الكريمة « للوعي الإسلامي » للاحتفاء بتراثنا الإسلامي ، وبحضارتنا الإسلامية الباقية على الزمان ، سنمضي وقتاً ، ما أظنه إلا شائقاً ، مع ضيف عربي وشاعر

● نجتاز بلادنا العربية اليوم فترة حرجية من تاريخها ، وتلاقى من صنوف العنت ومحاولات تفريق الكلمة وإثارة هذا الفريق على ذلك الآخر ، تارة من جانب دول الغرب مجتمعة ومتفرقة ، وتارة أخرى من جانب الدولة اللقيطة التي حشرت قمرها بين الدول العربية .

في هذه الفترة التي يجتازها العرب والمسلمون ، نرى من الواجب الملزم ، أن يتنبه قادة الفكر وأعلام الرأي في أرضنا العربية إلى الرجوع إلى تراثنا الخالد والتعريف به ، ونشره بكل الوسائل المتاحة ، بل وتدريبه بإسهاب ووعي صادق في جميع المراحل التعليمية والثقافية .
أننا لا نرى ضيراً من التعريف بشكسبير وبايرون وشيللي وبرناردشو وهيجو من أعلام الغرب لطالبي المعرفة والثقافة ، إلا أننا نطالب في ذات الوقت بتعريف

بدا حياته صانع جرار في الكوفة ثم أصبح من أبرع شعراء عصره وجليسا للخلفاء ..
 المتأدبون والأحداث كانوا يقدون اليه لكتابة شعره وأحكامه على ما يتكسر من خزفه ..
 قال عنه حساده ومعاصروه : الخبيث الذي يتناول شعره من كُثمّه .
 حبسه الرشيد لما رفض أن يقول شعرا في الفضل ..
 رفض أن يزوج ابنته لابن الخليفة المهدي وقال : إنما طلبها لأن أباهـا « أبو العتاهية » ..
 ألف أرجوزة مزدوجة ضمنها أربعة آلاف مثل ..

للأستاذ حسين الطوخي

ولما شب عن الطوق ، اخذ يتلقى عن أبيه « القاسم بن سويد » صناعة الجرار ويلتقط مع أسرار هذه الصناعة ، أساليب الحديث والمساومة والتجارة والريح الحلال .
 ويحس « اسماعيل » ذات يوم أنه يطرب لما يقوله الشعراء وما يتناقل على ألسنة المحدثين والرواة ، ويحس الى جانب ذلك بأوزان الشعر تصطبغ في أعماقه ، ويتبها له أنه يستطيع أن ينظم شعرا مثلما يقوله هؤلاء الشعراء .

وينفلت « اسماعيل » من متجر أبيه ليحضر مجالس الشعراء في أسواق الكوفة ، وفي طقات الدروس التي يعقدها علماء الاسلام في الدور وفي المساجد وفي القصور .
 واسمفته حافظته الواعية ، فاستوعب أغلب ما قيل من الشعر في الجاهلية وفي صدر الاسلام وفي

أصيل مطبوع في زمن الدولة العباسية بلا سبع الدنيا بأشعاره المعبية ، وصورة الرائعة ، ومعانيه المعبقة ، وستظل تثيره انفساه تمزق ما دام في الدنيا حس يمي وتلب يحسن الإتصاف .
 انه شاعرنا العبقري المطبوع : اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان الذي غلب عليه لقب « أبو العتاهية » .

(ولد في خلافة هشام)

استقبلته الدنيا ذات يوم من العام العشرين بعد المائة للهجرة في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي لمائلة كادحة تشتغل بصناعة الجرار والخزف بمدينة الكوفة ، وأطلق عليه أبوه اسم « اسماعيل » وتبين بـه خيرا وبركة .

من عبقة العرب

الشائقة . ولقد أراد واحد ممن
يأتونه أن يدون قصيدة طويلة فاشترى
منه جرة كبيرة تتسع لتسجل
القصيدة الطويلة !

ويحس اسماعيل بالضجر من طول
مكثه في متجره ، فكان يحجل قفصا
فوق ظهره فيه فخاره وخزفه ويدور
به في أسواق الكوفة ليبيعه ويحدث
الناس ويحادثونه .. وبينما هو
في طوافه يوما ، مر بفتيان جلوس
يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم
ووضع القفص عن ظهره وقال : يا
فتيان ، أراكم تذاكرون الشعر ،
فأقول شيئا منه لتجيزوه ، فإن فعلتم
فلكم عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا
فمليكم عشرة دراهم . فهزئوا منه
وسخروا به وقالوا نعم ، فحمل رهنه
تحت يد أحدهم وقال : أجزوا ..
سلكى الأحداث اتتم

وجعل بينه وبينهم وقتا في ذلك
الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجزوا
البيت فله منهم عشرة دراهم . ثم انه
فارقهم ليطوف بجراره هنا وهناك ،
وعاد اليهم في الموعد المضروب فلم
يجد احدا منهم اجاز البيت فهذا منهم
وقال يتم البيت بيننا يضع الدراهم
العشرة في ثيابه :

سلكى الأحداث اتتم
ملئنا بالأمس كتتم
ليت شعري ما صنعت
أريحتهم أم خسرتم

(في العصر العباسي)

وتعفى الأعوام على « اسماعيل
ابن القاسم » وهو بالكوفة يصنع
الجرار وأواني الخزف بينما الشعر
يتدفق على لسانه مثلما يتدفق الماء
العذب في مجرى النهر ، ولم تنقض

خلافة بنى أمية ، ثم اكتشف حقيقة
نفسه ذات يوم ، فإذا به ينشد
الشعر بسليقته وفطرته ، ثم تنقل
الشغاف أشعاره إلى محافل الأدب في
الكوفة ، وتصيخ الأذان إلى ذلك
اللون الفريد من الشعر والأوزان
التي تميزت ببساطة العرض وعمق
المحتوى .

(صنائع الجرار)

ويهوت « القاسم بن سويد » أب
الشاعر الياصب ، فلا يجد مهريا من
الوقوف في مصنع الجرار ، فهي
حرقة الأسرة التي عليها رزقها
وكسبها الضنين . ويقتل « اسماعيل
ابن القاسم » على مهنة أبيه ليصنع
الجرار وأواني الخزف ، بينما ذهنه
وقليه يدوران حول المعنى والأوزان
والقوافي وما يشهد من أحوال
الناس ، فيفتائر شعره مع جسامات
الطين التي يصنع منها الجرار .
كانت يداه تملآن ، بينما ذهنه
المشحوذ يعمل هو الآخر فيتدفق
الشعر على لسانه كخزير الماء في
الجدول الرائق .

وعرفه المتأدبون والأحداث في
الكوفة وسعوا اليه يقرأون عليه
أشعارهم ، فيستمع إليهم ويجادلهم
ويصدر أحكاما صائبة فيما يقولون
ويصوب لهم أشعارهم بينما طين
الجرار يتناثر من بين يديه على
وجوه المتأدبين وثيابهم وهم في سعادة
غامرة . وإذا ما أراد أحدهم أن يكتب
شعرا ما يقول أو يثبت له حكما
أدبيا ، لم يكن يجد غير ما يتكسر من
خزقه ليدون عليه ما يدور في الحلقة

من عبقة العرب

« أبو العتاهية » مشهور به الى يومنا هذا .

ثم تولى الخلافة « هارون الرشيد » فسطع نجم « أبي العتاهية » وصار الجليس الاثير اليه في اوقات سمره وفي حله وترحاله .

على ان « أبا العتاهية » مع اقبال الدنيا عليه بالأموال والهدايا ، كان عف القلب واللسان ، لا يقرب شرابا ولا يتبذل أو يتهتك ، انما كان سلوكه مع مجتمعه سلوكا فاضلا نظيفا ، ولم يكن يحمل حقدًا لأتسان ، ولا يفتاب أحدا في مجلس ، ولا يجري لسانه بغير الحديث الطيب .

وعرف عنه الإباء والاعتزاز بكرامته في غير صلف ولا خيلاء ، ولقد اشتغل أبوه زمانا بالحجامة فأراد واحد من معاصريه أن يغمز أبا العتاهية فأشار الى مهنه أبيه ، ولم يفضب أبو العتاهية أو يثور في المجلس بل قال من غوره :

الا انما التقوى هو العز والكرم
وحبك للدنيا هو الفقر والمعدم
وليس على عبد تقى نقيصه

اذا صحح التقوى وان حاك أوجهم
واندفع الرجل يمتدح لأبي العتاهية
على ملا من المجلس وسأله واحد :
كيف تقول الشعر ؟ قال أبو العتاهية :
ما أردته قط الا بل لي ، فأقول ما
أريد واترك ما لا أريد ، ولو شئت
أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت .
وسأله آخر : ترى هل تعرف العروض
يا أبا اسحق ؟ قال أبو العتاهية في
بساطة عجيبة : أنا اكبر من العروض
يا بني ..

ايام الدولة الأموية حتى كانت اشعار اسماعيل وأوزانه تحمل على أجنحة الرياح الى كل بقعة ينطق فيها لسان عربي مبين .

لم يترك معنى من معاني الحياة والموت الا وخاض فيها بصورة الرائقة البسيطة حتى وصفه معاصروه بأنه كان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الالفاظ ، كثير الاقتنان ، قليل التكلف ، وان كان أكثر شعره في الزهد والأمثال . كما كانت له أوزان طريفة لم يتقدمه فيها الأوائل .

ومع مطلع العصر العباسي الأول ، كانت موهبة اسماعيل الشعرية قد نضجت واستوت فوق عودها تنتشر الطيب من حولها فينشق الناس من عرفها الشذى . حتى المغنون والقيان في مكة والمدينة وبلاد الشام وأرض الجزيرة استهواهم شعره ، وسحرتهم أوزانه البسيطة فصدر عنهم غناء كأنها هو شغشقة الأطيار فوق الأنفلان .

وفي خلافة المهدي ، كان يطيب لولده « هارون » أن يضم مجلسه صفوة الشعراء والمحدثين ، ولم يكن أحب الى نفسه من جلوس شاعرنا « اسماعيل بن القاسم » الى جواره ليسمع شعره في الزهد وفي الأمثال وفي صفوف الدهر وتغير الحال .

وبلغ المهدي أن شاعرنا يؤثر هارون على أخيه موسى الهادي فاستدعاه لينشده بعض شعره ثم قال له : أنت إنسان متخذلك منكته . ولا يخفى على لبيب أن رأى المهدي في الشاعر لم يصدر عنه الا لحنه عليه . من ذلك اللقاء اطلق الناس على شاعرنا « اسماعيل بن القاسم » لقب

من عبقة العرب

أمسيات بغداد الرائقة ، ويلتقى الشعراء والمحدثون والمخنون يتطارحون الشعر والروايات ثم يدور الرشيد بعينيهِ في الحضور ويلمح أبا العتاهية يخاور أبا نواس فيدعوه إلى الاقتراب منه ويقول : أيه يسا أبا اسحق ، لم تقل شيئاً منذ قدمت مجلسنا . قال أبو العتاهية : أصغر الله أمير المؤمنين . ما أراني أقول شعراً إلا أن يأذن مولاي ، فيبتسم الرشيد ويهش في وجهه ثم يقول : عظمى أبا اسحق . قال أبو العتاهية : أخذك يا أمير المؤمنين . قال الرشيد : أنت آمن . فأنشده :

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس
إذا تسترت بالأبواب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة
لكل مدرّج منا ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقها
أن السفينة لا تجري على اليبس
فبكى الرشيد حتى بل كبه .

وهناك في ركن قصي من المجلس انتحى بعض الرواة يتحدثون ثم جاء فكر أبي العتاهية فقال أحدهم : سأسمعكم رأياً طريفاً في شعره .

التقى مسعود بن بشر المازني بأبن مناذر في مكة فسأل مسعود ابن مناذر : من أشعر أهل الإسلام ؟ قال ابن مناذر : أشعر أهل الإسلام بمن السابقين « جرير » ومن المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول شعره من كبه فسأله مسعود : ومن هو هذا الخبيث ؟ قال ابن مناذر : انه أبو العتاهية . فضحك القوم حتى سبهم الرشيد وطلبهم ليسمع منهم ما أضحكهم .

ثم مال الرشيد على أبي العتاهية وسأله أن ينشده شعراً في الغزل ،

(شعره يعرفه العاقل) (ويقرّ به الجاهل)

طاب المقام لأبي العتاهية في بغداد حاضرة العباسيين وعروس الشرق ، وانتقلت إليها شهرته ، وذاع على السنة العالمة والخاصة شعره المتدفق ، وأصبح حديث الحافل الأدبية أينما انعقدت وتحلق من حولها الأدباء والشعراء والرواة والمحدثون . في مجلس مصعب بن عبد الله ، وكان من أئمة نقاد الشعر في بغداد ، كان الحديث يدور كل يوم حول أبي العتاهية وشعره وأوزانه ، وأحب القوم ذات يوم أن يسمعوها رأي مصعب في شعر أبي العتاهية فسأله أحمد بن زهير أقرب جلسائه : من تراه أشعر الناس في زماننا يا مصعب ؟ قال مصعب في رأي قاطع : أبو العتاهية أشعر الناس في هذا الزمان . فسأله ابن زهير ثانية : بأي شيء استحق ذلك عندك ؟ قال مصعب : استحق ذلك بقوله :

تعلقت بأمال

طوال أي آمال

واقبلت على الدنيا

ملحاً أي إقبال

أيا هذا تجهز له

فراق الأهل والمال

فلا بد من الموت

على حال من الحال

ثم أردف مصعب : هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويقرّ به الجاهل .

(في مجلس الرشيد)

وفي قصر الرشيد انعقد المجلس الشائق ، مجلس سمر الخليفة في

نقال أبو العتاهية : اعفنى يا أمير المؤمنين عما عادت نفسى تهفو إليه ، فأعاد عليه الرشيد فأنشد أبو العتاهية فى حضور إبراهيم الموصلى القديم :
 أخلاى بى شجو وليس بكم شجو
 وكل امرئ عن شجو صاحبه خلئ
 وما من محب نال من يحبه
 هو صادقا الا سيدخله زهو
 بليت وكان المزح بدء بليتى
 فأحببت حقا والبلاء له بدو
 وعلفت من يزهو على تجبرا
 وإنى فى كل الخصال له كئسو
 رأيت الهوى جهر الغضى غير أنه
 على كل حال عند صاحبه خلئ
 طرب الرشيد أيما طرب ونظر الى
 إبراهيم الموصلى نظرة فهم منها أنه
 يبنى سباع الشعر الرقيق ملحنا ،
 فقام إبراهيم وغاب وأخل القصر
 ليصنع اللحن .
 وأحب الرشيد أن يسمع قصة
 رفض أبى العتاهية أن يزوج ابنته
 من أخيه منصور بن المهدي فقال
 يسأله : اجبنا أبا اسحق مساندا
 مصدقا ، كيف جاز لك أن ترفض
 زواج ابنتك من أخى منصور وتدعى
 أنها خطبت لابن أخيك ؟ أى عذر لك
 الا تكون ابنتك زوج أمير عباسي ؟
 وهنا تبسم أبو العتاهية ثم قال :
 أصلح الله أمير المؤمنين وكساه ثور
 الأيام وصروف الدهر . أبا وقد
 أحببت أن تسمع حقيقة الامر ، فأعلم
 أعزك الله ، أن الله رزقنى بابنتين
 سميت أحدهما « لله » وسميت
 الأخرى « بالله » ثم بعث الى منصور
 ابن المهدي يخطب « لله » فقلت
 للأمير ، وأنا أكذب عليه ، أنها خطبت
 لابن أخى ولا سبيل الى الرجوع فى
 كلمتى . والحقيقة يا أمير المؤمنين

أننى رفضت زواجها من ابن المهدي
 وقتلت لنفسى : أنسا طلبها لأنها بنت
 أبى العتاهية ، وكانى بها قد ملئها ،
 فلم يكن لى الى الانتصاف منه سبيل ،
 وما كتبت لأزوجها الا بائع خزف وجرار
 ولكنى اختاره لها موسرا .
 وأعجب الرد الرشيد وقال : ما
 سمعت هذا التعليل والله من أحد
 الا اثت . وجاء إبراهيم الموصلى
 واتخذ مجلسه أمام الرشيد وقد
 أمسك بموده ثم انطلق يغنى الأبيات
 فسكت كل من فى المجلس وجاعت
 الجوارى والفلمبان من داخل القصر
 يسمعون اللحن الجديد وهم يهتزون
 طربا ، وشهدت بغداد ليلة فريدة فى
 تاريخها امتد الغناء خلالها حتى بانت
 خيوط الفجر .
(حبس أبى العتاهية)
 أحس أبو العتاهية فى تلك الليلة
 الرائقة أن الرشيد لن يقطع عنه بهذه
 الأبيات الخمسة فى الغزل ، فانتقطع
 عن حضور سمره ومجلسه أياما
 متوهما أنه سينسى ذلك الشعر فى
 شعر غيره فى الغزل فغاء له عنه .
 لكن الرشيد تفقده بعد ذلك ثم بعث
 اليه بمن يحضره . وجاء أبو العتاهية
 وسلم على الرشيد ثم أحب أن يجلس
 بعيدا لكن الرشيد أمر بأن يقرب منه
 مجلسه . ومال الرشيد على الشاعر
 يسأله : أنشدنا أبا اسحق آخر ما
 قلت فى الغزل . قال أبو العتاهية :
 أصلح الله أمير المؤمنين ، ما قلت
 والله شيئا منه منذ تلك الليلة . قال
 الرشيد : وهل يقف لسلكك عن أن
 ينشدنا الساعة ؟ هات ما عندك .
 قال أبو العتاهية : بأبى أنت وامى يا
 أمير المؤمنين . عزمتم الا أقول شيئا
 فى الغزل ما بقيت لى حياة .

من ذوات العقود والاطواق
 جميع الله عاجلا بك تسلي
 عن قريب ومكنى من وثاقى
 فاهتز الرشيد طسريا وطلب الى
 الموصلى أن يغنى الشعر فى تلك
 الليلة ، ثم سأل مسرورا الخادم : كم
 ضربنا أبا العتاهية ؟ قال مسرور :
 ستين عصا يا أمير المؤمنين . قال
 الرشيد : هات له ستين ألف درهم .
 ثم يحكف أبو العتاهية على أتمام
 أرجوزته الرائسة « ذات الأمثال »
 التى جاوزت خمسة آلاف بيت
 تضمنت أربعة آلاف مثل منها :
 لكل ما يؤذى وإن قل ألم
 ما أطول الليل على من لم ينم
 أن الشباب والفراغ والجدة
 بكسدة للمرء أى مفسده
 ولعل من أشهر أبياته التى جرت
 مجرى الأمثال :
 تعالى الله يا سلم بن عمرو
 أنزل الحرص أعتاق الرجال
 ويموت الرشيد ، ويكيه أبو
 العتاهية بالدمع الهاتل ، ويرثيه
 بأروع ما يرى به عبد من عباد الله ،
 وتطمئن سنه وينحنى ظهره ، ويعيش
 سنوات قليلة فى خلافتى الأمين
 والمأمون ولدى الرشيد ، وتحضره
 الوفاء فى خلافة المأمون وسننه
 تسعون عاما فى عام ٢١٣ للهجرة
 فى بغداد .
 وتموت بموت أبى العتاهية
 شقيقات طائر غريد عاشى يغنى
 على أفنان دوحة اسلامية عابسة
 عىلاقة ..
 وبعد . فليست ادعى اننى وفيت
 أبا العتاهية حق ، انما هو جهد
 المقل أزاء عبقرية عربية حري بنا أن
 نلتفت اليها ونحتفى بها وإن نتذكرها
 فى زهو ومخر .

وهنا اشتد الغضب بالرشيد ،
 فأنشأ الى خاتمه مسرور ، ولما أتبل
 عليه ، طلب اليه أن يحمل أبا العتاهية
 الى الحبس على ألا يطلقه ، أو يقول
 شعرا فى الغزل .
 وظل أبو العتاهية فى الحبس زمنا
 وكان الرشيد قد رصد على بابيه أحد
 غلمانه ليذون كل ما يقوله من
 الشعر .
 ويمد أيام من حبسه كتب الى
 الرشيد يستعلمه :
 أما والله إن الظلم لوم
 وما زال المسيء هو الظلوم
 الى ديان يوم الدين نمضى
 وعند الله تجتمع الخصوم
 تموت غدا وأنت قرير عين
 من الغفلات فى لجج تنوم
 تناوم ولم تتم عنك المنيا
 تنبئه للمنية يا تؤوم
 سل الأيام من أهم تقتضت
 ستفبرك المعالم والرسوم
 تروم الخلد فى دار المنيا
 وكسم رام غيرك ما تروم
 الا ايها الملك المرجسى
 عليه نواهى الدنيا تحوم
 اقلى زلة لم اجر منها
 الى لوم وما مثلى ملوم
 وخلفنى تخلفنى يوم يموت
 اذا للناسى بنزت الجحيم
 فلما قرأ الرشيد الشعر رق له وأمر
 بإطلاقه . ومن طريف ما يروى فى
 هذا المقام أن أبا العتاهية أحب أن
 يرضى الرشيد فأنشده فى الغزل :
 من لتسلب متيسم مشتاق
 شغته شوقه وطول الفراق
 طال شوقى الى قعيدة بيتى
 ليت شعري فهل لنا من تلاقى
 هى حظى قد اقتصرت عليها

الفتاوى

في الصيد

نشرنا في العدد ٩٨ من المجلة تحت هذا العنوان سؤالا عن الصائد الذي رمى طائرا ولم يمتد عليه الا ميتا بعد يوم من صيده ، وقد اجبنا على هذا السؤال وتفضل السيد الدكتور أحمد الحجى الكردي مدرس الدراسات الاسلامية واللغة العربية في كلية الآداب بجامعة ليبيا في بنغازي بالتعليق الآتى ونحن ننشره ، وان كان في غير موضوع السؤال لانه يتصل بحكم الصيد عموما ، وفيما يلي هذا التعليق ..

قرأت في العدد ٩٨/ من مجلة الوعي الاسلامي الصادر في غرة شهر صفر لعام ١٤٩٣ هـ في حقل الفتاوى فتوى تقدم بطلبها السيد محمد موسى من الشارقة حول شروط حل الصيد ، حيث كان الجواب أن الصيد يكون حلالا بشروط ثلاثة ، ثم ذكر الاستاذ المفتى هذه الشروط بتفصيل مع أدلتها من السنة الشريفة . وأنا أوافق الاستاذ المفتى على هذه الشروط ، الا انني اشير الى أن لهذا الحل شروطا أخرى هامة لا بد من توافرها في الصيد ، والا اعتبر ميتة حراما . وأهم هذه الشروط :

١ - ألا يدركه الصائد حيا ، فان أدركه حيا فلا بد من ذبحه اختياريًا على الطريقة الشرعية ، والا اعتبر ميتة . فان أدركه حيا ثم مات قبل أن يتمكن من ذبحه دون تقصير منه أكل واعتبر كأنه لم يدركه حيا ، فإذا تراخى في تتبعه حتى مات لم يؤكل للتقصير . وهذا الشرط هام جدا في نظري لما نراه اليوم من تساهل الصيادين في ذبح صيدهم على الرغم من أدراكهم آياه وهو حي ظنًا منهم بأن الصيد قام مقام الذبح مطلقا .

ودليل ذلك أن الحيوان لا يؤكل في الاصل الا بالفكاة الشرعية الاختيارية لقوله تعالى « الا ما ذكيتم » ، ولكن استثنى منه الصيد بعد ذلك ضرورة ، والقاعدة الشرعية تقول (الضرورات تقدر بقدرها) ولا ضرورة لا كله بدون ذبح مع التمكن منه بعد الصيد .. وهذا الشرط متفق عليه لدى جماهير الفقهاء .

٢ - أن يكون الصيد باداة حادة - أي محددة تقتل بحدوها لا بتثقلها - كالسيف والرمح والنسهم وما جرى مجراها ، أو بحيوان جارح معلم ، أما البندق والمصا وغيرهما مما يقتل بنقله لا يحده فلا يحل به الصيد ما لم يدركه الصائد حيا وبذكبة الفكاة الشرعية الاختيارية . وكذلك الحيوان غير الجارح وغير المعلم فانه لا يحل ما صاده ، لقول الله تعالى « وما علمتم من الجوارح مكلبين » ..

والى هذا ذهب جمهور العلماء ، لم يخالف فى ذلك — فيها أعلم — الا بعض المالكية حيث قاسوا البندق الذى يخرق بقوة حذفه على ما يقتل بحدده ، وعلى ذلك أباحوا الصيد بالبندق التى تستعمل فى الصيد فى هذه الأيام ، وذلك خلافا لجباهير الفقهاء ..

والدليل فى نظرى مع الجمهور حيث استدلوا بأدلة وافية من السنة الشريفة بعضها كآمن فيها تقدمه الأستاذ المفتى من السنة النبوية فى إجابته المنوّه عنها حيث ذكر النبى — صلى الله عليه وسلم — فى جبيهما (السهم) وهو آلة محددة كما هو معروف .

ومنها قول النبى — صلى الله عليه وسلم — وقد سئل عن الصيد بالمعراض (ما أصبت بعرضه فلا تأكل فهو وقيد) وما أصبت بحدده فكل (والمعراض هو السهم الذى لا ريش له .

وقد أفتى العلامة الحنفى قاضىخان بذلك فقال (لا يحل صيد البندقية والحجر والمعراض والمصا ، وما أشبه ذلك وإن جرح لأنه لا يخرق — أى بنفسه — إلا أن يكون شيء من ذلك قد حدده وطوله كالسهم وأمكن أن يرى به ، فإن كان كذلك وخرقه بحدده حل أكله) .

وكذلك سيدى خليل العلامة المالكى فآفته بذلك أيضا ونص عليه فى مآته فقال (بسلاح محدد ، وحيوان علم) .

٣ — أن يرى الصائد على الحيوان جرحا ظاهرا ، فإن لم يكن بالحيوان جرح ظاهرا لم يؤكل . نص على ذلك العلامة قاضىخان فقال (فأما الجرح الذى يدق فى الباطن ولا يخرق فى الظاهر لا يحل لأنه لا يحصل به إنبهار الدم) .

هذا ومن العلماء من يشترط خروج الدم من الجرح فعلا ، ومنهم من يكتفى بالجرح فقط دون تعديل على ما سواه وهم الأكثرون .

٤ — التسمية عند إطلاق السهم ، أو الحيوان المألم ، لقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فإنه يعم الصيد وغيره . فإذا ترك التسمية ساهيا حل الصيد عند الحنفية والجمهور ، لحديث النبى — صلى الله عليه وسلم — (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) فإذا تركها عابدا حرمت عند الحنفية للآية المتقدمة وحلت عند الشافعية لقول النبى — صلى الله عليه وسلم — (المسلم يذبح على اسم الله سم أو لم يسم ولأدلة أخرى مبسطة فى كتبهم .. والله تعالى أعلم ..

المراجع :

- ١ (الزيلعى على التآز ٥٣/٦ — ٥٩ ..
- ٢ (من خليل والشرح الكبير وهائىة الدسوقى عليه ١٠٢/٢ — ١٠٦ ..
- ٣ (مفتى المحتاج ٢٧١/٤ — ٢٧٤ ..
- ٤ (هائىة ابن عابدين على الدر المختار ٦٧/٥) .
- ٥ (المأرب مادة (عرض) ..
- ٦ (مختار الصحاح مادة (عرض) .

اعداد : عبد الحميد رياض

المفسرون من الصحابة

نقرأ ان بعض الصحابة كانوا مشغولين بالتفسير كابن عباس فهل كان هناك غير هؤلاء مع الفاء الضوء على المفسرين الأكثرين منهم ؟

عز الدين الحضرمي — الصومال
إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أكثر الناس التصاقاً برسول الله ، وقد شاهدوا وعانوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب ، ولهم بجانب ذلك صفاء نفوسهم ، وسلامة فطرتهم وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ، قال الحاكم في المستدرک : « ان تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتزيل له حكم المرفوع ».

وكان من اعلامهم في التفسير . ابن عباس فهو ترجمان القرآن قال ابن عباس قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم ترجمان القرآن انت » ففي عصره اشدت حاجة الناس الى الاخذ عنه بعد تآخر الزمان به ، ثم لانقطاعه وتفرغه للنشر والدعوة والتعليم ، فلم تشغله خلافة ولم تأخذ عليه وقته رعاية سئون الرعية .

وعبد الله بن مسعود فقد كانت صلته برسول الله خير مثقف ومؤيد ومعلم ، وهو من اعلم الصحابة بكتاب الله ومعرفة محكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه ، اخرج ابن جرير عنه انه قال « والله الذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا اعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو اعلم مكان أحد اعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لايتيه » .

وعلى بن ابي طالب كرم الله وجهه وكان من اعلام الصحابة فقد كان من الأكثرين لأنه عاش في زمن كثرت فيه حاجة الناس الى من يفسر القرآن إذ قد اتسعت رقعة الاسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا من كل جنس حتى كادت تذوب بسبب هذا الخليط من الناس خصائص العربية وهي لغة القرآن ، وصاحب ذلك نشأة جيل من أبناء الصحابة ، وقد كانوا أشد ما يكونون حاجة الى علم الصحابة ، ومما دل على عظيم علمه بالتفسير رواية معمر بن وهب بن عبد الله بن ابي الطفيل قال ل : « شهدت عليا رضي الله عنه يخطب ويقول : سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا اعلم ابليل نزلت أم بنهار أم سهل أم في جيل » .

وابي بن كعب الأنصاري وقد كان اقرا الصحابة للقرآن ومن الأكثرين في التفسير المبرزين فيه .

وقد اشتهر غير هؤلاء الأربعة كثير من الصحابة رضوان الله عليهم منهم الخلفاء الراشدون الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وابو موسى الأشعري وعبد الله بن الزيد وأنس بن مالك وابو هريرة وابن عمر وجابر وعمر ابن العاص وعائشة أم المؤمنين لكنهم كانوا دون الأربعة السابقين .

جـسـزـر الكـويـت

ما هي الجزر التي تتبع دولة الكويت ؟ وما اسمائها ؟

سعيد الكامل — مالى

يتبع الكويت عدة جزر ، وأكبر جزيرة « بويان » وطولها نحو ٢٤ ميلا وعرضها نحو ١٢ ميلا وهي غير مسكونة ، وتقع فى أقصى الشمال الغربى من الخليج العربى .

والى الشمال من « بويان » توجد جزيرة « وربة » فى مدخل جون الكويت وطولها ٧ أميال وعرضها ٤ أميال .

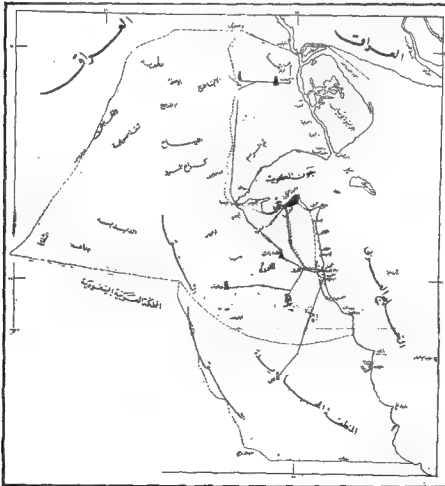
وجزيرة فيلكا وهي جزيرة قديمة آهلة بالسكان ، وتبعد من الكويت نحو ١٥ ميلا وطولها نحو ثمانية أميال شرقا وغربا ، وعرضها نحو ثلاثة أميال ، وتوجد بها آثار قديمة ترجع الى سنة ٢٥٠٠ ق م كما عثر فيها على آثار يونانية ترجع الى عهد الاسكندر الأكبر .

وبجوارها جزيرة « مسكان » وطولها ميل إلا ربعا ، وعرضها نحو نصف ميل .

وجزيرة « عوثة » وطولها غربا وشرقا نصف ميل ، وعرضها نحو ثلث ميل . ويقابل الساحل الجنوبى جزر صغيرة غير مأهولة وهي (كبر) و (قاروة)

و (أم المرادم) . وفى داخل الجون أكثر من جزيرة صغيرة ، فبقرب ساحل الشويخ جزيرة

وهذه خريطة تبين مواقع هذه الجزر .



بأقلام القراء

من الإسرائيليات مدينة الذهب والفضة

ذكر القسرون - القرطبي ، والخازن ، والنسقي ، والفخر الرازي ، وأبو السموذ ، والخطيب الشيرازي ، وغيرهم - عند قوله تعالى في سورة الفجر : « إرم ذات الجناد التي لم يخلق مثلها في البلاد » : - أن شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة قال : أبني مثلها ، فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة ، وفي بعض هذه الكتب أنه أنشد مائة قهرمان مع كل واحد ألف عون ، وجعل حولها سورا ، وهول السور ألف قصر ، وعند كل قصر ألف علم ، وفي كل قصر وزير ...

وكانت مدينة عظيمة تصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وأشجارها من الذهب والفضة ، وتمارها الياقوت والجواهر ، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة يمض الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم . ومن نقل صفة هذه المدينة من غير القسرين الإشبيلي صاحب كتاب المستطرف من كل من مستطرف ١/١٤ ط ١٢٤٥ هـ ١٩٢٥ م . ولما أنقل بعض آراء العلماء النقاد في مدينة الذهب والفضة مما صاغته في مطالعتي ... ياقوت صاحب معجم البلدان والأديب الخوافي سنة ٦٦٦ هـ . « قلت هذه القصة بما تدنا البراة بن صحتها ، وظننا أنها من أخبار القصص الممتعة وأوضاعها المزوقة » . بلدان ياقوت ١/٢٠ مادة إرم .

ابن كثير القسري والخوارزمي المشهور الخوافي سنة ٧٧٤ هـ

قال في التفسير مجديا رايه في هذه المدينة بعد أن ذكر صفها المتقدمة ، وأنها تنتقل فطارة تكون بارض الشام ، وفارة باليمن ، وفارة بالعراق ، أو بغير ذلك من البلاد ، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادتهم ليفتخروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك ...

وعقب أيضا على ما ورد من أن عبد الله بن قلابه خرج في إيل له في زمان معاوية فأطلع على مدينة تربية الشبه بهذه المدينة الذهبية فرجع وأخبر الناس فذهبوا إلى المكان فلم يروا شيئا ...

فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال فاعتقد أن ذلك حقيقة في الخارج ، وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ... تفسير ابن كثير في أي طيمة عند ذكر هذه الآية : - وقال في الجزء الأول من التاريخ الذي طبع مستقلا تحت عنوان قصص الأنبياء : « ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهي تنتقل في البلاد فقد غلط وأخطأ وقال ما لا دليل عليه . قصص الأنبياء ١/١٣ ط ١٢٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

ابن خلدون صاحب التاريخ والقدمة الخوافي سنة ٨٠٨ هـ : زعموا أن هذه المدينة موجودة في صحارى حصد في اليمن قد توغل فيها الأعداء من كل جانب فلم ينقل عن واحد منهم أنه عثر عليها ، ويدعون أن المظفر عليها من نصيب السحرة ، وينزه كتاب الله عن القصص الموضوعة التي هي أقرب إلى الكذب الخسك ، والحضي أنهم أهل فناء وإسطين على المسموم بما اشتهر من قوتهم .. مقدمة ابن خلدون ص ١٨ ..

الألوسي صاحب التفسير القشيري ١٢٧٠ هـ .

قال : « وغير شداد أخوه في الضعف » إشارة إلى غير عبد الله بن قلابه) بل لم تصح روايته كما ذكره الحافظ بن حجر فهو موضوع كثير ابن قلابه »

تفسير الألوسي الجزء الأخير سورة الفجر — ألم تر كيف فعل ربك بعاد — محمد عبده المصلي المشهور القشيري ١٩٠٥ م .

وقد يروى المفسرون هنا حكايات في تصوير إرم ذات العماد ، كان يجب أن ينزه عنها كتاب الله فإذا وقع إليك شيء من كههم ونظرت في هذا الموضوع فخطب بصرك ما تجده في وصف إرم ، وإليك أن نظرت فيه .

تفسير جزء عم ، محمد عبده ، سورة الفجر ، الآية المذكورة ..

أما بعد ... فهذه آراء العلماء الفكرة لدينسة الذهب والفضة والمرحة باتها اختلاق ومن الإسرائيليات جمعها في صعيد واحد ، والغريب أن يشترط يستطيع أن يناقش صنعة الله فيبني مدينة على مثال الجنة ، كيف يصدق هذا الكلام ، وأنا أقسم رأيي لهؤلاء الذين نزحوا كتاب الله عن أساطير الفصامين ومفتريات الرضامين ، وإفك الفراعين ، وينبغي أن يكون هناك فيوصل يصرغه الخاصة والمساة ، فلا يشاب الحق ببعض الباطل ، ولا يختلط الصديق ببعض الأساير ..

عبد الرحمن أحمد شادي

من همدى التوبة)

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه » متفق عليه .

هذا حديث شريف صحيح فيه الخبر من النبي صلى الله عليه وسلم عن المؤمن أنهم على هذا الوصف . ويضمن الحديث على مراعاة هذا الأصل وأن يكونوا أخوانا متراحين متحابين متعاطفين يجب كل منهم للآخر ما يجب لنفسه وأن عليهم مراعاة المصالح الكلية الجامعة لمصالحهم كلهم وأن يكونوا على هذا الوصف .

فإن البنيان المجمع من أساسات وحيطان محيطه كلية وحيطان تعيط بالنازل المختصة وما تتضمنه من سفوف وأبواب ومصالح ومفاتيح كل نوع من ذلك لا يقوم بمفرده حتى ينضم بعضها إلى بعضي .

كذلك المسلمون يجب أن يكونوا كذلك تيراعوا قيام دينهم وشرائعه وما يقوم ذلك ويقويه ويزيل موانعه وهوارضه بالفروض العينية : يقوم بها كل مكلف لا يسع مكلفا قادرا تركها أو الإخلال بها وفروض الكفايات : يجعل في كل فرض منها من يقوم به من المسلمين بحيث تحصل بهم الكفاية ويتم بهم المقصود المطلوب .

فالمسلمون قصدهم ومطلوبهم واحد وهو قيام مصالح دينهم ودنياهم التي لا يتم الدين إلا بها وكل طائفة تسمى في تحقيق مهمتها بحسب ما يناسبها ويناسب الوقت والحال ولا يتم لهم ذلك إلا بمقتد المشاورات والبحث عن المصالح وبأى وسيلة تدرك وبكيفية الطرق إلى سلوكها وإعانة كل طائفة الأخرى في رايها وقولها وفعلها فمنهم طائفة تعلم وطائفة تعلم ومنهم طائفة تخرج إلى الجهاد ويعد تعليمها لفنون الحرب ومنهم طائفة تحافظ على الحدود ومسالك الأعداء ومنهم طائفة تشغل بالصناعات القاسية لزمانهم ومنهم طائفة تشغل بالتجارة والمكاسب المتنوعة والاسم في الأسباب الاقتصادية ومنهم طائفة تشغل بدراس السياسة وأمر الحرب والسلام وما ينبغي عمله مع الأعداء مما يعود إلى مصلحة الاسلام والمسلمين .

وبالجملة يسعون كلهم لتحقيق مصالح دينهم ودنياهم متساعدين متساندين يرون الغاية واحدة وإن تباينت الطرق والمقصود واحد وأن تمددت الوسائل إليه .

عبد الله بن عبد الرحمن السند

قالت صحف العالم

الرسالة وأرسول

عندما تأتي ذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، يستعيد العالم بها ذكرى جهاد لا مثيل له ، انتقل بالعرب من أمة متباغضة متحاسدة ، من قبائل متناثرة في الصحراء الى أمة موحدة متعاونة متعاونة ، تحول الى العالم رسالة غيرته من حال الى حال ، وبعثت في أوصاله الحركة والحياة واثمت عليه نور العدالة وأقرت بين شعوبه مبدأ المساواة بين الناس .. وسرت الدعوة الجديدة من الجزيرة العربية الى خارجها ، فهزت العروش والإمبراطوريات ، وبلغت شاطئ المحيط .

وقد تساءل الكثير من الكتاب والمفكرين الغربيين عن هذا السر أو السحر الذي جعل من نفر قليل غزاة أقوياء تدين لهم الأرض وتفتح لهم القلوب ، واجمعوا على أنه الإيمان بالرسالة الجديدة . ولا إيمان من غير صدق ولا صدق من غير معرفة ، وقد أطلق الإسلام العقول من أسرار الخرافات والأساطير ، وكرم الإنسان وقدس حريته في الفكر والرأي وحضه على جهاد النفس وتخليصها من الشهوات والزوات ورسم له الحياة في أبهى صورها من المحبة والتعاطف ، وقدم الإسلام في تاريخه الطويل نماذج من الرجال عدلا وحكمة وشجاعة وإبنارا ، وقدم دولا اشاعت الطمأنينة وأمنت بالحرية وكفت عن المظالم ، وأقامت حضارة نشرت العلوم والمعارف وأضاعت ، حينها وجدت ، خير ما في النفس الإنسانية من عزم وصبر وكفاح .

كان محمد نبيا فقيرا وأصفاه ربه لحمل الرسالة فتحمل في سبيلها العنت والارهاق واستطاع بقوة الإيمان أن يبلغ بها ما أراد لها ربه من الذبوع والانتشار . ولما حضرته الوفاة ترك الدنيا وهو لا يملك منها قليلا أو كثيرا ، فلم يكن ظاهما في ملك ولا سلطان ، بل ظل حتى آخر حياته يقول لانتصاره واتباعه والمؤمنين ما أنا إلا بشر يوحي اليه . ولم يدع لنفسه قدرة خارقة ولا امتيازاً ولم ينسب اليه أنه أتى بمعجزة .. كفت رسالته دعوة الى العقل والتدبر والنظر الى الآفاق .

وفي تاريخ الإسلام بعد محمد ، ظل تقديس العقل هو الأساس ، وظلت الحرية هي ملك التقدم والامتياز . وظلت المصالحة بين الدين والدنيا هي العقيدة الثابتة .. يأخذ المسلم من الدنيا ما يشاء في حدود الحلال المباح ، ويعطي ربه حقه من العبادة والخشوع والإيمان ، وهذا التوازن الواضح في العقيدة الإسلامية هو الذي طوع لها أن تسود فترة من الزمان ، وفقدان هذا التوازن هو الذي أصابها في فترة أخرى بالانكماش والاضمحلال فخير ما يفعله المسلمون تحية لولد نبيهم الكريم أن يعيدوا هذا التوازن ويحتفظوا به .

(عن صحيفة أخبار اليوم القاهرية)

الإسلام .. والواقع العربي المعاصر

الإسلام كون شاسع الأطراف بكل ما تعني هذه الكلمة من مدلول في العمق والسمكة والطول ، فهو نظام حياة يتناول سلوك الفرد والجماعة

وعلاقتهم بالحياة والأشياء . وقد استطاع هذا الدين أن يفجر في أوساط الجماعة الإسلامية التي التزمت ودانت به طاقات هائلة أثرت البشرية بشتى القيم الحضارية كما ردها بأسباب القوة والمنعة من التأثيرات الخارجية ما دامت ملتزمة بتعاليمه متخاربة مع قيمه ومعانيه . والأدلة على ذلك كثيرة ومتوفرة ، في كل زمان ومكان ، ويكفى أن نشير هنا الى تغلب الإسلام بآبائاته الملية والبشرية التي لا تقاس إطلاقاً بآبائات الحضارتين الفارسية والرومية وانتصاره على دولتي القرس والروم مجتمعين ، واستطاع أن يمد بجهاته على جهات الدنيا الأربع ويحقق نجاحاً متفوقاً في كل الميادين التي خاض غمارها . وظلت ظاهرة الانتصار والغلبة تواكب تاريخ هذه العقيدة على اختلاف

الأوساط والميادين وظل سبب النصر مربوطاً بمدى الالتزام به . ورغم الانتصار السياسي الذي منيت به الشعوب الإسلامية نتيجة انسلاخها عن أخلاق الإسلام وتعاليمه فإن الإسلام كفكر وحضارة ودين ظل شاهداً متعالياً فوق كل ما أفرزته البشرية من أفكار . . . !! وظل الفكر الإنساني كله كالوليد الذي يتمتر أمام الرجل الرائد المستكمل لقواه العقلية والجسدية ، أزاء الإسلام .

ومن هنا نستطيع أن نفسر التناقضات المختلفة التي تعاني منها البشرية ، والمقالب والتفترات التي أحدثت وتوماكبيرة في مسيرة البشرية المجافية لأمر الله .

لقد حصلت كل الهزائم في تاريخنا السياسي في الوقت الذي كان الإسلام معزولاً عن الحياة ، فقد تعرض الوطن العربي لهجمات المفول بعد أن مهد لهذا الغزو فلسفات الزناقة وحركات الشعوبية ، فوُلج التتار طريقاً معبداً ، ولكن الضربة الموحشة التي أسفرت عن احتلال بغداد فجرت في المسلمين كنوز عقيدتهم فعانوا إليها عودة الضائع الى أهله وحماه ، وحصلت بعودتهم الى دينهم المعجزة وتحقق النصر وعم الإسلام الوطن العربي من جديد بعد أن كاد المفول أن يغيروا ملاحمه ، وقد جاءت الحروب الصليبية على فترة من الفساد والاحتلال العقيدى والاجتماعى في المجتمع الإسلامى نتيجة لعودة الأفكار المادية وشيوع المبادئ الفكرية ممثلة بحركات اخوان الصفا على الصعيد الفكرى وحركات القرامطة والحنشائين على الصعيد السياسى . وكذلك أعاد التاريخ نفسه وتعرض الوطن العربى الى غار جديد ممثلاً بهجمات الحروب الصليبية التي استطاعت أن تقيم الدول والإمارات في أرجاء الوطن العربى ، وأخذت تعمل بجد على تغيير معالم المجتمع المسلم .

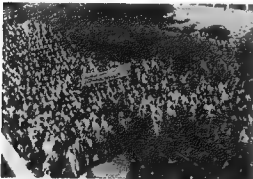
ولكن المعجزة عادت من جديد فشعر الناس بضرورة العودة الى دينهم وادركوا الخسارة التي منوا بها بسبب انزعال الإسلام عن حياتهم وبدأت المحاولة من جديد ، وقد استطاع المجتمع الإسلامى نتيجة لادراكه أسباب هزيمته أن يصحو على واقعه ويعود الى أسباب قوته وعوامل نهضته ، وقد أفرزت هذه العودة الكريمة القيادة القوية الحكيمة التي استطاعت أن توحد معظم أقطار الوطن العربى رغم كثرة الدول والإمارات واختلاف المذاهب والاتجاهات ، وكان صلاح الدين الأيوبي هو فارس تلك الرحلة والنموذج الإنساني الرفيع الذي صاغته تعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه ، فأعاد للأمة وحدتها ورد لها كرامتها وحرر أجزاءها المفتتصة وبعث الشخصية الإسلامية المتميزة بأخلاقها ، وكان الفارس الذي ما زالت أوروبا تحترمه وتقدر عبقرية ومزاياه رغم أنه عدوها وقاهرها والذي أجلاها عن الديار المقدسة .

وهكذا ظلت أوضاع الوطن العربى بين تقدم وانحلال بالمقدار الذى تلتزم به بالإسلام أو تجافيه وما زالت هذه المعادلة هي البديهية التي يؤكداه واقع العرب والمسلمين . . .

(عن مجلة الشهاب اللبنانية)

اختبار القبول الجامعي

اعداد : فهمي الإمام



الكويت : نظم مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح ، والقطاعات القدائية والاتحادات الشعبية الفلسطينية والكويتية في دولة الكويت جنازة رمزية تحية لشهداء العاشر من نيسان (أبريل) ضحية الغدر الصهيوني ، وقد مثل دولة الكويت في الجنازة وزير الأوقاف والشئون الإسلامية .

واشترك فيها المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المظلم ، وعدد من السادة أعضاء مجلس الأمة ، ورؤساء الهيئات الدبلوماسية العربية ، وكبار ضباط وزارة الداخلية وأعضاء اللجنة التنفيذية لقطعة التحرير الفلسطينية الموجودين في الكويت ، وآلاف من المواطنين والفلسطينيين وأبناء الدول العربية المقيمين في الكويت ، وطلاب وطالبات المدارس المتوسطة والثانوية .



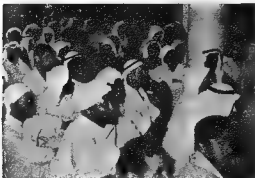
● ألقى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية كلمة في جموع المصلين بمسجد فهد السالم بعد أن أدوا صلاة الفاتح على أرواح شهداء المقاومة والفداء .

● أقامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية احتفالها السنوي المهاد بنفكري المولد النبوي الشريف في مسجد السوق الكبير ، وقد افتتح الحفل كما افتتح بتلاوة من آيات الذكر الحكيم وتتابع الخطباء بكلمات منسوبة ، وشهد الحفل جمهور كبير من المسلمين .

● زار البلاد وفد مغربي برئاسة الأمير عبد الله شقيق الملك الحسن .

● بدأت وزارة التربية بالتعاون مع وزارة الدفاع تنفيذ برامج الفنون العسكرية في المدارس الثانوية والجامعية .

القاهرة : تقرر افتتاح ثلاث كليات أزهريه جديدة في بداية العام الدراسي القادم واحدة للشريعة وأخرى للقانون في طنطا والزقازيق



والتألفة لاصول الدين بظننا .. واتشاء ١٢ معهداً أزهرياً بالمحافظتين .



● عين فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخاً للأزهر ، وقد حصل فضيلته على العالمية سنة ١٩٣٣ م ثم درس الفلسفة في جامعة باريس ، وحصل منها على الماجستير والدكتوراه ، وتدرج في مناصب الأزهر حتى أصبح وكيلاً له سنة ١٩٧٠ ثم عين وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر ، كما شغل من قبل منصب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

● عين فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزيراً للأزهر ، وقد نقلت فضيلته عدة مناصب أزهرية وكان وكيلاً للأزهر .

● صرح فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى الوزير الجديد لشئون الأزهر بأن أول مشروع ينفذه سيكون حفظ القرآن الكريم كله ونشره بين الجماهير وجعله شرطاً للترقية إلى وظائف عمداء المعاهد والمتنشين في الأزهر والأوقاف وماثونى الشرع ، واعتماد مكاتب تحفيظ القرآن الكريم في المدن والقرى في حكم المدارس الابتدائية لإخضاع تلاميذها لقانون الإلزام ، وتخفيف الإزدواج في مناهج التعليم الابتدائي الأزهرى لانساح المجال لحفظ القرآن .

● نظم إدارة الوعظ بالأزهر قوافل للوعظة الدينية بمحافظتي أسبوط والبنها ، واستمدت الندوات للحديث عن الجهاد والصمود والوحدة الوطنية ومؤامرات اليهود عبر التاريخ ودور الشباب في المعركة وصور من البطولات الإسلامية .

● صدر الجزء الرابع من معجم الفاظ القرآن الكريم الذي أعده مجمع اللغة العربية . يصدر قريباً عن المجلس الأعلى لشئون الإسلامية الجزء الثاني من كتاب « الفريين » لأبي عبيد الهروي .

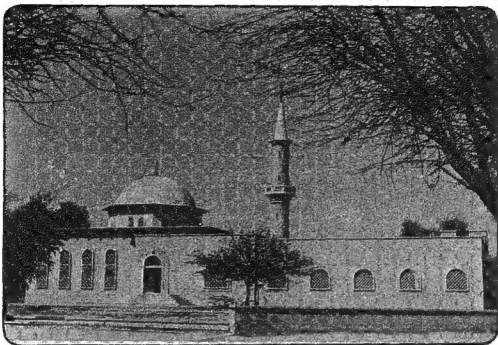
السعودية : سافر وفد سعودي إلى كل من تونس والجزائر يحمل المؤن والإدوية والخيام والمساعدات المالية للمتضررين بالفيضانات الخطيرة التي حدثت هناك .

● قدمت المملكة العربية السعودية مبلغ ١٠ ملايين جنيه استرليني لدعم الجيش السوري . فلسطين المحتلة : بلغ عدد المهاجرين السوفيت ٢٢ ألف مهاجر ، وهم يسهمون في التقدم العلمي والفني للعدو الإسرائيلي .

● في أعقاب الحملة الإسرائيلية الأخيرة على لبنان ، واستيلاء إسرائيل على بعض الوثائق الدوائية تشن السلطات الإسرائيلية حملة اعتقالات واسعة النطاق داخل الأراضي العربية المحتلة . سوريا : وصلت طلائع القوات المصرية التي أمر الملك الحسن الثاني بإرسالها إلى سوريا للرباطة على جبهة الجولان - إلى دمشق خلال الأيام القليلة الماضية .

لبنان : قام الكوماندوز الإسرائيلي بعد منتصف ليلة الاثنين ٧٢/٤/٩ بهجوم مزدوج شاول الأول نصف عدة مكاتب فدائية في بيروت وقتل وجرح حوالي ٥٥ شخصاً بينهم ثلاثة من قادة فتح والأخر في صيدا .

ليبيا : أنهى المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الخارجية اجتماعاته بليبيا ، واتخذ القرارات الإيجابية ، وأرسل وفد خماسي إلى النبلين لبحث أوضاع المسلمين هناك .. وانتخب المؤتمر الأستاذ حسن التهامي أميناً عاماً للمؤتمر الإسلامي خلفاً لتفكر عبد الرحمن . وفي خطاب القاءه الرئيس، معمر القذافي بمناسبة المولد النبوي الشريف دعا إلى تطبيق الفكر السدي نأدى به الرسول صلى الله عليه وسلم ومواجهة كل فكر مخالف . المغرب : يجب ألا نتكلم في منازلنا وفيما بيننا حيثما كنا باللغة الأجنبية عن لغتنا ، ولا نراسل بعضنا ولا ننقل أي مراسلة إلا بالعربية لغة ديننا - من البيان الذي أصدره حزب الاستقلال المغربي ودعا فيه إلى تعريب المغرب .



مسجد سيدنا عثمان بن عفان

اسمه : عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف القرشي الاموي .

مولده : ولد بمكة ..

اسلامه : اسلم بعد البعثة بقليل ، وتزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم : رقية ، ثم أم كلثوم ، ولقب لذلك بسذي النورين ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

خلافته : آلت اليه الخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب سنة ٢٢ هـ ..

فتوحاته : افتتحت في عهده ارمينية والقوقاز وخراسان وكerman وسجستان واثريقية وقبرص ، وفي عهده تم جمع القرآن الكريم وكتابته برسمه المتداول والمعروف بالرسم العثماني وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول .
وفاته : حوصر في داره أربعين يوما ، وتسور عليه بعضهم الجدار فقتلوه وهو يقرأ القرآن في شهر ذي الحجة عام ٣٥ هـ ودفن في البقيع ومدة خلافته إحدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وأيام .

« إلى راغبى الاشتراك »

حصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتغاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متمد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

- | | |
|---|-------------------|
| القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة . | مصر : |
| الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) . | السودان : |
| طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) . | ليبيا : |
| بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) . | |
| مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع غرنمسا . | تونس : |
| بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) . | لبنان : |
| مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) . | عُدن : |
| عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) . | الأردن : |
| جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) . | السعودية : |
| الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) . | |
| الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) . | |
| الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) . | |
| مكة المكرمة : مكتبة الثقافة . | |
| المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . | |
| بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر . | العراق : |
| الكتبة الوطنية : شارع باب البحرين . | البحرين : |
| الدوحة : مؤسسة العربية — ص.ب : (٥٢) . | قطر : |
| شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) . | أبو ظبى : |
| مطبعة دى . | دبى : |
| مكتبة الكويت المتحدة . | الكويت : |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

لذكرى المولد النبوي الشريف ...	لمعالى وزير الأوقاف
حديث الشهر (المصحف) ...	والشئون الإسلامية ... ٤
صور شاملة لسورة يس ...	لرئيس التحرير ... ٨
من هدى السنة (نزول عيسى عليه السلام ...	للشيخ محمد الفزالي ... ١٢
العلامة الخالدة ...	للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد ... ١٧
فكرو لماذا ...	للشيخ عبد الحميد السالح ... ٢٢
أساليب الإباحة عند الأصوليين والفقهاء (٢) ...	للاستاذ على الطنطاوى ... ٢٢
آفة البحث العلمى ...	للدكتور محمد سلام مذكور ... ٣٨
ذكرى ميلاد الرسول الباقون عن النور السموات السبع ...	للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ... ٤٤
تحليل الدعوة فى عصرها المكى وثيقة تسليم بيت المقدس مكتبة المجلة ...	للاستاذ أحمد محمد جمال ... ٥٠
خواطر فى الميلاد المائدة ...	للاستاذ محمد المجدوب ... ٥٦
أرض السهلة ...	للدكتور محمد جمال الدين الفندى ... ٦٢
اسماعيل بن القاسم الفتاوى ...	للدكتور عماد الدين خليل ... ٦٧
بريد الوعى الإسلامى ...	للدكتور إبراهيم العدوى ... ٧٦
بأقلام القراء ...	أعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض ... ٨٢
قالت الصحف ...	للاستاذ أبو القيم الكبيسي ... ٨٤
الأخبار ٨٨
مواقيت الصلاة ...	للاستاذ أحمد العناني ... ٩٠
مسجد سيدنا عثمان بن عفان ...	للاستاذ حسين الطرخي ... ٩٦
	للتحرير ... ١٠٢
	أعداد عبد الحميد رياض ... ١٠٥
	للتحرير ... ١٠٧
	للتحرير ... ١٠٩
	أعداد فهمى الإمام ... ١١١
	... ١١٣
	... ١١٤